الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولاي الطاهر- سعيدة-

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة والأدب العربي

بلاغة الإعجاز في الأسلوب القرآني

الباقلاني-أنموذجا-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في النقد الأدبي عند العرب.

-إعداد الطالبة:

●لبوخي ميرة .

-تحت إشراف

●أ-د.عبو عبد القادر.

*السنة الجامعية *

2016 – 2017م

SbC 031 000 865

شكر وعرفان

الحمد لله من قبل ومن بعد على كلّ ما منّ به علينا من نعم.ونشكره تعالى على توفيقه لنا في رحلتنا هذه التي سرنا فيها مع كتاب اللهتعالى ملتمسين الأجر من الله عزّوجلّفيا له من شرف ذلك الّذي حزناه في هذا المقام.

وعرفانا بالجميل يطيب لنا أن نتوجه بخالص الشّكر وفائق الامتنان إلى أصحاب الفضل في إتمام هذا العمل. ونذكر في مقدمتهم مأطّر هذه الرّسالة الأستاذ الدكتور "عبو عبد القادر" الذي لم يبخل عليّ بتوجيهاته القيّمة وتفهمه للظروف، فله كلّ الشّكر والتّقدير..وإلى الّذين كانت لهم يد العون في إتمام هذا البحثوهم الذين رفعوا أكفّ الضراعة إلى الله تعالى حاملة لي دعوات صادقة و أخصّبالذّكر الوالدينالكريمين أطال الله في عمرهما.والشّكر موصول إلى أخي "عبد القادر"وأختي "نصيرة"الذين أمداني بالعون بعد الله تعالى فلهما كل الامتنان والمحبة وخالص الدعوات.

وإلى كل من ساهم في إتمام هذا البحث من قريب أومن بعيد فلهم جميعا شكري وامتناني

لبوخي ميرة

إهداء

إلى نور بصري و ضياء سبيلي ..أبي و أمي..

إلى رياحيني .. أخواتي و إخوتي ...

إلى توأم روحي..و حبيبتي ...

إلى كل من خدم القرآن الكريم..

إلى كل من أحب العربية...

إلى كل متسامح و كل تقي...

إلى أصحاب النّفوس الطيبة...

لبوخي ميرة

الفهرس.

الموضوع	الصفحة

- شكر وعرفان.
- إهداء.
- المقدمة..أ
- المدخل..02

الفصل الأول : الأسلوب القرآني خصائصه و تجلياته الفنية.

- المبحث الأول :أسلوب القرآن مفهومه وخصائصه..............................11
1. مفهوم أسلوب القرآن..11
2. الخصائص العامّة للأسلوب القرآني..24
- المبحث الثاني:سمات التّركيب الفنّي في الأسلوب القرآني..................35
1. جمال التّأليف الصّوتي واللّغوي..35
2. الملائمة بين الألفاظ والمعاني..37
3. الوحدة الفنّية في أسلوب القرآن..40
4. إبداع النّظم وإحكام التّأليف في أسلوب القرآن..........................44
- المبحث الثالث: اتّجاهات البحث في الأسلوب القرآني.......................50
1. الاتّجاه اللّغوي..50
2. الاتّجاه الفنّي..59
3. الاتّجـــاه العقلـي..64

الفصل الثّاني : مركزية البحث البلاغي و النّقدي عند الباقلّاني.

- **المبحث الأول: الباقلّاني والثقافة النّقدية والبلاغية في عصره** 68
1. حياة الباقلّاني الثقافية والفكرية.. 68
2. مكانة الباقلّاني وآراء العلماء فيه 79
3. قضايا البلاغة في عصر الباقلّاني 82
- **المبحث الثاني: منهج الباقلّاني في الدّراسة النّقدية والبلاغية** 106
1. الباقلاني ومنهجه النقدي 106
2. كتابات الباقلاني والقضايا النقدية.. 123
3. الدراسة البلاغية في كتاب إعجاز القرآن 138
- **المبحث الثالث:الأسلوب القرآني في خطاب الباقلاني النقدي**............. 145
1. الباقلّاني ورأيه في إعجاز القرآن 145
2. وجوه الإعجاز القرآني عند الباقلّاني.. 149
3. المعاني الإعجازية في أسلوب القرآن ونظمه................................. 151
- **الخاتمة**.. 157
- **المصادر والمراجع**.. 161
- **الفهرس**.. 167

المقدمة

إنّ أهم كتاب أنزل على البشر كافة هو كتاب الله تعالى، الذي أنزله المولى عزّ وجلّ ختاما لرسائله السّماوية على نبيّه الأميّ محمّد عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم، ليكون القرآن الكريم معجزة خالدة باقية على اختلاف فترات الزّمان المتعاقبة، وقد أودع فيه ربّ العالمين من الأسرار ما فيه من الرّواء، والشّفاء، والصّفاء، والحسن والرّوعة، وفيه من الأحكام، والتّشريع، والعقيدة والفقه، ما يجعله النّبع، والمعين، والمورد الفيّاض الذي يرتشف من رحيقه كل مسلم على اختلاف الأجيال فلا يقنع من شهده المتذوق لحلاوته النّابعة من إحكامه وتأليفه، وأسلوبه، مصداقا لقوله تعالى:"ألر.كتاب أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير"(هود:1).

فهو كلام الله سبحانه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، المحكم في سرده، والدقيق في سبكه، والمتين في أسلوبه، وللقرآن الكريم كل الفضل في ظهور العلوم بمختلف تخصصاتها، إذ احتج به النّحاة، ونهل منه البلغاء ونظر فيه المفسّرون، وتأمل فيه الفقهاء، وتوقف عنده المتكلّمون، وأفاد منه الأدباء، فكان منه المنطلق وإليه الرّجوع، ليكون أسمى وأشرف ما يقدمه الباحثون في بحوثهم وتآليفهم ما كان فيه خدمة كتاب الله الكريم، ولحيازة هذا الشّرف العظيم التفت حوله تلك الدراسات القرآنية وكثرة التآليف التي تبحث في علوم القرآن في محاولة منها لكشف مكنوناته وأسراره ومواطن جماله، وإعجازه الرّاسخ والظاهر في كل الأزمنة والعصور، فكان الإعجاز القرآني من أهم القضايا التي اعتنى بها العلماء قديما وحديثا، فقد كان القرآن الكريم ولا يزال يتحدى ببلاغة أسلوبه ونظمه البلغاء وأهل البيان والفصاحة فأعجزهم عن الإتيان بمثله، وورد هذا التحدي في الكثير من آيات الذكر الحكيم، وقد كان للإعجاز في القرآن الكريم وجوه متعددة قد اعتنى بتبيانها جلّ الباحثين ومنها الإعجاز العلمي، والتشريعي والنفسي والغيبي،ومن الوجوه أيضا ما كان من جهة البلاغة التي تضمنا أسلوب القرآن المعجز الذي كان مناط الإعجاز في كتاب ربّ العالمين سبحانه.وقد أعطى

علماء الإعجاز هذا الوجه جلّ عنايتهم فانبرت جهودهم في تقصّي خصائص نظمه وبلاغة أسلوبه الذي انفرد به على غيره من الأساليب ولعلّ من أبرز العلماء الذين شغلوا بالبحث في بلاغة أسلوب القرآن المعجز، الرماني والخطابي والقاضي عبد الجبار، وكذا الباقلاني، الذي اتخذناه أنموذجا لهذه الدراسة التي اهتدينا إلى انتقاء موضوعها الموسوم ببلاغة الإعجاز في الأسلوب القرآني"الباقلاني"- أنموذجا- للوقوف على بلاغة أسلوب القرآن المعجز، مع العلم أن البواعث والدوافع الحقيقية لاختيار هذا الموضوع هي:

* سعيي لنيل شرف البحث في موضوع له صلة بكتاب اللهتعالى.
* محاولة التقرب أكثر من كتاب المولى عز و جلّ.
* شغفي بالوقوف على مواطن وكوامن الجمال والبلاغة في الأسلوب القرآني المعجز.
* رجائي في الدخول ضمن جملة من يخدم القرآن الكريم من العلماء وطلبة العلم.
* إبراز الخصائص والسمات التي يختص بها القرآن المجيد.
* الاطلاع على دراسات من سبق من العلماء في بحثهم ودراساتهم حول بلاغة الأسلوب القرآني وإعجازه.

ولنمضي في معالجة هذا الموضوع انطلقنا في بناء محتواه من إشكالية تضم جملة من الاستفهامات كان أهمها:

1- ماهو مفهوم الأسلوب القرآني، وكيف تناوله العلماء القدامى والمحدثون؟.

2- ما هي أهم الخصائص العامة للأسلوب القرآني المعجز؟.

3- أين تتجلى المكامن والسمات الفنية في تركيب الأسلوب القرآني؟.

4- ما هي أبرز الاتجاهات التي بحثت في أسلوب القرآن؟.

5- فيما تتجلى الملامح الفكرية والثقافية في حياة أبو بكر الباقلاني؟.

6- ما هي أهم قضايا البلاغة في زمن الباقلّاني؟.

7- على أي منهج اعتمد الباقلّاني في دراسته النقدية؟.

8- أين تبرز أهم القضايا النقدية في كتابات الباقلّاني؟.

9- وأين تكمن جهوده البلاغية ضمن كتاب إعجاز القرآن؟.

10- ما هو مكمن الإعجاز عند الباقلّاني وما هو رأيه فيه؟.

11- كيف تناول الإمام الباقلّاني أسلوب القرآن من خلال وجوه الإعجاز لديه؟

وانطلاقا من هذه التساؤلات يندرج موضوع هذا البحث الذي يلزمنا – بالنظر إلى طبيعته – إتباع منهج وصفي تاريخي، وتحليلي، ثم وللإجابة على الإشكالية المطروحة اعتمدنا في موضوعنا خطة بحث مقسمة إلى فصلين وضعنا في مستهلها مقدمة ذكرنا فيها أهم الدوافع التي قادتنا إلى تناول هذا الموضوع وكذا أهم ما طرح حوله من تساؤلات.

وقبل الولوج إلى ثنايا البحث وضعنا مدخلا تكلمنا فيه عن البلاغة ثم الإعجاز ومعناه ووجوهه في القرآن العظيم، مع ذكر ما لكلام الله تعالى من الفضل والتأثير على اللغة وإسهامه في ظهور كافة العلوم.

وإذا أتينا إلى الفصل الأول الذي جاء بعنوان: الأسلوب القرآني خصائصه وتجلياته الفنية، نجده قد حوى ثلاث مباحث قسمت كالآتي:

- **المبحث الأول : أسلوب القرآن مفهومه وخصائصه.**
- **المبحث الثاني : سمات التركيب الفني في الأسلوب القرآني.**
- **المبحث الثالث: اتّجاهات البحث في الأسلوب القرآني.**

أما الفصل الثاني فقد أتى بعنوان مركزية البحث البلاغي والنقدي عند الباقلّاني.وقد تناولنا فيه هو الآخر ثلاث مباحث وكانت مرتبة كالآتي:

- **المبحث الأول : الباقلّاني والثقافة النقدية والبلاغية في عصره.**
- **المبحث الثاني: منهج الباقلّاني في الدّراسة النّقدي والبلاغية.**
- **المبحث الثالث: الأسلوب القرآني في خطاب الباقلّاني النّقدي.**

ثم إننا وأثناء معالجتنا لهذا الموضوع قد اعترضتنا بعض الصعوبات وهذا طبيعي في أي بحث، ولعل من أبرزها، ضيق الوقت الذي حال دون الارتواء الكافي من كتاب الله تعالى ضف إلى ذلك، ما وجدناه من صعوبة في الحصول على المراجع التي تحيط بالموضوع إحاطة شاملة، مع تداخل المعلومات ضمن المادة العلمية المتحصل عليها.

وعلى الرغم من هذا إلا أننا بتوفيق من المولى عز وجل قد انهينا هذه الدراسة التي اعتمدنا فيها على جملة من المصادر والمراجع وكان أهمها : (إعجاز القرآن للباقلّاني)، (ثلاث رسائل في الإعجاز القرآني للرماني والخطابي والجرجاني)، (النبأ العظيم لعبد الله دراز)، (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى الرافعي)، (ومناهل العرفان للزرقاني)....

وفي الأخير نحمد الله تعالى على أن وفقنا في إتمام هذه الرسالة، مع الرجاء أن نكون قد فتحنا نافذة للمزيد من النظر في هذا الموضوع، الذي يخدم كتاب الله تعالى بالدرجة الأولى فيا له من شرف أن نتدارس كتاب الله تبارك تعالى خدمة له واحتسابا للأجر والثواب.

المدخل

لقد خصّ العرب من البلاغة والحكمة بما لم يخصّ به غيرهم من الأمم وأتوا من دراية اللسان ما لم يؤت إنسان، وكانوا قبل الرسالة السماوية يمتازون بالميل إلى الكلِمِ الطيّب، فأرهفوا كلمات عربيتهم وأسلوب خطابهم، مع ملاحظة جرس الكلمات، وموسيقى العبارات وكذا انسجام الحروف، ومؤاخاة المعاني للألفاظ .

وكان السبب كلّه هو سيادة الأمية فيهم فكان النطق يدلّ على المعنى ليقوم الأول مقام خُطوط الكاتبين، فأبدعوا في ذلك، ولعل ما ميّزهم هو القدرة على حفظ الأشياء والتّمييز بينها، فلم يعد لهم حاجة للكتابة، وبالرّغم من عدم أهمية الكتابة لديهم، وسيادة الشفوية، إلا أنّ بلاغتهم كانت بارعة، وألفاظهم ناصعة، وكلماتهم جامعة، فقد بلغوا في جاهليتهم مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان.

وإذا تساءلنا عن معنى البلاغة هنا يمكن أن نقول أنّها علم من علوم اللّغة العربية وهي روح الأدب، والبلاغة في اللّغة: الوصول والانتهاء، أما في لسان العرب:" يقال بلغ الشيء يبلغ بلوغًا: وصل وانتهى. والإبلاغ: الإيصال، بلغت المكان بلوغًا، وصلت إليه..."[1]

وقد أشار **ابن منظور** أيضا إلى المعنى الاصطلاحي فقال:" البلاغة، الفصاحة، والبَلْغُ والبِلْغُ: البليغ من الرجال. ورجل بَلِيغٌ: حسن الكلام فصيحه، يَبْلُغُ بعبارة لسانه كنْه ما في قلبه، والجَمْعُ، بُلَغَاءُ. وقد بَلُغَ بلاغة: أي صار بَلِيغًا."[2]

وعليه فإنّ هذا هو المعنى العام لكلمة البلاغة، فهي أوّلا الانتهاء والوصول وهي ثانيًا الفصاحة وحسن القول، وقد ظلّت البلاغة تحمل هذا المعنى إلى أن تغيّر معناها ليصبح كما يقول **السكاكي**:

"هي بلوغ المتكلّم في تأدية المعاني حدًّا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقّها، وإيراد التشبيه والمجاز على وجهها."[3]

---

[1]- أحمد مطلوب، البحث البلاغي عند العرب، دار الجاحظ، بغداد، 1982م ، ص 5.

[2]- المرجع نفسه، ص 5.

[3]- المرجع نفسه، ص 6.

وقد فرّق الخطيب **القزويني** بين بلاغة الكلام، وبلاغة المتكلّم فقال: "وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته. هذا عن الأولى أما الثانية فقال عنها: وأما بلاغة المتكلمّ فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ."[1]

وقد قسّم بدوره البلاغة إلى ثلاثة أقسام وهي:

– **"علم المعاني**: وهو علم يعرف به أحوال اللّفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال.

– **علم البيـــان**: وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.

– **علم البديـع**: وهو ما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته."[2]

وإذا عدنا إلى بلاغة العرب نجد كل "هذه المصطلحات البلاغية غير معروفة في عصر ما قبل الإسلام، غير أنّ الفنون البلاغية التي وردت في الشّعر تشهد أنّ العرب كانوا على دراية بمختلف الأساليب والصور المتعددة التي كانت تزيد كلامهم جمالاً.

إذ نجد من الاستعارة على سبيل التمثيل في قول **امرئ القيس**:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَـــهُ ** عَلَـيَّ بِأَنْـوَاعِ الْهُمُـومِ لِيَـبْتَـــلِي.**

فَقُلْـتُ لَهُ لمَـا تَمَـطَّى بِصُلْبِـــهِ ** وَأَرْدَفَ إِعْـجَـازًا وَنَـاءَ بِـكَلْكَــلَ." [3]**

وعليه فإنّ صناعة الكلام، وفصاحة القول، والاقتدار على التفنّن في أضرب البلاغة والبيان كل ذلك كان هو سلعة العرب في جاهليتهم، وكانت الإجادة في فن القول ناتجة عن سليقة وطبع فطريين، فقد جبل العربي في صحرائه على حب الكلمة وتوخّي عذوبة الألفاظ، حتى عمدوا إلى مختارات شعرهم العربي الرائق فعلّقوها على ظهر الكعبة المشرفة، وقد نزل ذاك الشّعر الخصب المتين

[1]– أحمد مطلوب، البحث البلاغي عند العرب، مرجع سابق، ص 7.

[2]– المرجع نفسه، ص 8.

[3]– المرجع نفسه، ص 12.

من النّفس البشرية منزلاً رفيعًا، فكان في الجاهلية كما يقول ابن سلّام:"ديوان علمهم، ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون...قال عمر بن الخطاب τ: كان الشّعر علم قول لم يكن لهم علم أصحّ منه..." [1]

وقد كان له من الرّفعة آنذاك ما يجد فيه قائلوه، وسامعوه من تعبير عن العواطف وتمثيل للمثل والسّجايا، وكان هذا سببًا مقنعًا لإقبالهم عليه كل الإقبال، فحفظوه، وتدارسوه ورووه.

ولعل من أكبر الدلائل على فصاحة العرب وعلوّ شأنهم في البلاغة والبيان هو نزول القرآن الكريم بلغتهم العربية، يقول تعالى:" **إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ۝٢ "(يوسف : 02).

ليأتي القرآن الكريم مصداقًا للآية الكريمة بلسان عربي خطابًا للعقل والقلب، مخالفًا لما عرفه العرب من أساليب المنظوم والمنثور، فكان وجوده سببًا لميلاد أمّة دفنتها رمال الصحراء، وقد جاءت معجزة **الرّسول**ρ بيانية، بلاغية من جنس ما أبدع به القوم حتّى تكون عليهم حجّة، إذ أنّ البلاغة العربية لا يعرف مقامها إلا من على أعلى مراتب البلاغة والفصاحة.

وفي هذا السياق يجدر بنا أن نقف على معنى القرآن الكريم، ومعنى المعجزة.

– أما القرآن الكريم فهو في اللّغة مصدر مرادف للقراءة، ثم نقل من المعنى اللّغوي إلى المعنى الاصطلاحي الدّال على أنّه كلام اللّه المنزّل على قلب **محمّد** ρ بواسطة الوحي، منجمًا في شكل آيات وسور خلال فترة الرّسالة – ثلاث وعشرون سنة – مبدوءًا بفاتحة الكتاب ومختومًا بسورة النّاس، منقولاً بالتّواتر، برهانًا معجزًا على صدق رسالة الإسلام."[2]

أمّا عن معنى المعجزة فنقول أنها في اللغة "مأخوذة من العجز، وهو ما يقابل القدرة، وقد عرفها العلماء على أنها ذلك الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدّي وسالم من المعارضة، يظهره **اللّه** تعالى على يد رسله، ويفوق طاقة البشر."[3]

---

[1] – يحي الجبّوري، الشّعر الجاهلي خصائصه، وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 5، 1986م – 1407هـ، ص 130 (بتصرف).

[2] – عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، نهضة مصر، مصر، ط3، 2007م، ص 23.

[3] – حسن ضياء الدين عتر، المعجزة الخالدة، دار البشائر، بيروت، ط3، 1994م، ص19.

ثمّ كان القرآن معجزة في حدّ ذاته، مناسبًا لحال القوم الذين نزل فيهم، وبلسانهم ليكون أبلغ في إيقاع الحجّة عليهم، وجاء على نمط يعجز قليله، وكثيره معا، فكان أشبه بالنور في جملة نسقه، لأنّه صفى اللّغة من أكدارها وأجراها في ظاهرها على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملأ من السّحاب."[1]

وإن كنّا قد وقفنا على معنى المعجزة فما معنى الإعجاز القرآني إذن ؟.

وعليه فإنّ القرآن قد نزل على وجه يعجز البشر عن الإتيان بمثله.ثمّ إنّ التّحدي بالمعجزة القرآنية لم يخصّ قومًا دون قوم فكان الإعجاز قائمًا في كل العصور وفي هذا يقول جلّ شأنه:"**قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴿٨٨﴾ "(الإسراء : 88).

ولهذا كان ولا يزال القرآن معجزة عقلية تشاهدها الأبصار باقية مستمرة الإعجاز أبد الدّهر، ونجد معنى ذلك في قوله ρ :" ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنّما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه **اللّه** إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة "(صحيح البخاري).

انطلاقًا ممّا تقدّم فإنّ أقرب مفهوم للإعجاز القرآني، هو ما نجده لدى القاضي **عبد الجبار** الذي يقول:"ومعنى قولنا في القرآن أنّه معجز: أن يتعذّر على المقدمين في الفصاحة فعل مثله في القدر الذي يخصّه."[2]

والمعنى من ذلك أنّ البشر فصحاء وعلماء يتعذر عليهم الإتيان بمثله في أسلوبه البياني أو أخباره الغيبية، أو أي وجه من وجوه إعجازه الأخرى، وذلك لسموّه على طاقاتهم، وقصورهم عنه قصورًا أبديًا.

[1]- مصطفى الرّافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية، المكتبة التوقيفية، ص 74 (بتصرف).

[2]- حسن ضياء الدّين عتر، مرجع سابق، ص 106- 107.

وقد اعتنى العلماء والأدباء والمتكلّمون بقضية الإعجاز، ولعل أول من وضع فيه مؤلّفًا خاصًا هو **الجاحظ** وسمّاه (نظم القرآن) ثمّ تبعه **محمّد بن يزيد الواسطي** فصنّف كتابه (إعجاز القرآن)، ثم أتى بعده **أبو عيسى الرّماني فالخطّابي، فالباقلّاني** في كتابه المشهور (إعجاز القرآن)، ليأتي **الجرجاني** بعد هؤلاء ويصنّف في الإعجاز كتابه (دلائل الإعجاز)، وللإشارة فإنّ هذه الدراسات وغيرها كانت مرجعًا أساسيًا لكل المحاولات التي تلتها ضمن موضوع الإعجاز.

فكيف تناول هؤلاء العلماء مسألة الإعجاز القرآني؟ مع العلم أنّهم قد تحرّوا الكشف عن وجوه الإعجاز في كتاب **اللّه** تعالى التي نراها في تعدّد وتجدّد مستمر عبر العصور فتناولوها بالبحث والدراسة إيمانًا منهم أنّ دراسة القرآن والنّظر في أسراره وإبراز وجوه إعجازه لا يكون إلا دفاعًا عن القرآن، وردًّا لسهام الطاعنين في أصل المعجزة.

ولعل من أبرز الوجوه الإعجازية المعروفة هي: الإعجـــاز العلمي، الإعجــاز التأثيري، الإعجاز التشريعي، الإعجــاز البلاغي.

حيث يعد هذا الأخير من أهم الوجوه الإعجازية في القرآن لأنّه الأصل الذي وقع به التحدّي، والسمة المصاحبة له في كل ألفاظه وتراكيبه، وآياته، وسوره، ومقاطعه، وفواصله، وفي هذا يقول **الخطّابي**: "إنّ في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه النّاس وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس ..."[1]

فإن كان ما يقصده **الخطّابي** في قوله، هو الإعجاز البلاغي، فما هي أهم جوانبه وتجلياته؟. وكيف تناوله علماء البلاغة والإعجاز في دراستهم؟.

وللإشارة فإنّ مفهوم الإعجاز يتأتى من التأثير العميق في النّفس فطبيعته تنسجم مع معنى التأثير في البلاغة فقد أعجزهم القرآن بما اتّصف به من البلاغة فائقًا سائر البلاغات متميزًا ومنفردًا بأسلوبه الخاص، مغايرًا لجميع أساليب العرب في الكتابة، والخطابة، والتأليف.

[1]- محمد كريم الكوّاز، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط 1، 1426هـ، ص 27.

ثمّ إنّ أسلوب القرآن هو مادة الإعجاز في نظر العديد من العلماء الذين أقرّوا بأنّ أسلوب القرآن الفريد قد أعجز البشر بأن يحاكوا نظمه وتأليفه، وهو طابع لغتهم، وظاهرة حية لأفكارهم وعقولهم.

وعن الأسلوب القرآني نتحدث في بحثنا هذا، فقد اخترناه ليكون موضوعاً لهذه الدراسة، التي نحاول من خلالها الكشف عن بلاغته الإعجازية، وعليه فما هي أهم الخصائص البلاغية والفنية للتركيب الأسلوبي المعجز؟. وأين تكمن تجليات إعجاز الأسلوب القرآني الفريد؟. وسنحاول قدر الإمكان الإجابة عن هذه الإشكالات وغيرها في محتوى رسالتنا هذه إن أذن لنا المولى عزَّ وجلَّ.

والجدير بالذّكر هنا أنّ العديد من العلماء والمفكّرين قد اشتغلوا بدراسة الأسلوب القرآني وبلاغته الإعجازية فوقفوا على تجليات الإعجاز في البناء، والنّظم، والتأليف ضمن تنقّلاته الرائعة، وسياقاته المعجزة، وبناءًا عليه فإنّ القارئ للقرآن يجد نفسه متحيرًا في هذا النّظم البديع الذي أعجز البلغاء والفصحاء، وأدهش علماء الكلام واللّغة والنحو والبيان.

ويعدّ الإمام **أبوبكر الباقلّاني**، أحد هؤلاء العلماء، فهو من أعلام المدرسة الأشعرية، ومن المتكلّمين الذين اعتنوا بقضية الإعجاز في القرآن الكريم.

هذا وقد فضّل **الباقلّاني** البحث في الإعجاز على غيره من العلوم ليقول:" وقد كان يجوز أن يقع ممن عمل الكتب النافعة، في معاني القرآن وتكلم في فوائده من أهل الصنعة العربية، وأهل صناعة الكلام أن يبسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزته...فالحاجة إلى هذا أمس والاشتغال به أوجب."[1]

والمتأمّل لما تركه الإمام من أعمال ومصنّفات في مجال دراسة القرآن يجده قد أسهم بجهود طيّبة تلفت النظر إلى جوانب الإعجاز، خاصة في كتابه الذي أفرده للحديث عن هذا الموضوع، والذي جاء بعنوان" إعجاز القرآن."

[1]- محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص 20.

هذا وقد نتساءل في هذا الصدد عن مدى إسهام جهود **الباقلّاني** في الثقافة النّقدية والبلاغية، وكيف كان تعامله مع الأسلوب القرآني كوجه من وجوه الإعجاز؟....وأين تتجلى وجوه الإعجاز لديه ؟.

ومن هذا المنطلق سيكون حديثنا منصبًا على هذا العلم بصفته واحدًا من كبار أعلام البلاغة والإعجاز حيث سنتّخذه أنموذجًا لدراستنا موضّحين بذلك منهجه في الدراسة البلاغية والنّقدية، وكذا منهجه في دراسة الإعجاز القرآني، والإعجاز البلاغي على وجه الخصوص، والجدير بالذّكر هنا أنّ ظاهرة الإعجاز البلاغي في جوهرها دراسة نقدية بامتياز" فهي تعتمد على بحث الأساليب، وتعمّق أسرار البلاغة، والموازنة بين ألوان الكلام الرفيع، إلا أنّ النّقد حين يقترب من الإعجاز البلاغي يجب عليه لزامًا التخلي عن حدّه بالتمييز بين الجودة والرداءة، ليبقي على تحليل مواطن الجودة في النص والتأثير في النّفس، فيدخل في المفهوم العام للإعجاز البلاغي."[1]

وعليه فإنّ إعجاز القرآن البلاغي لم يكن مقصودًا لذاته، وإنّما لشدّ بصر الإنسان وبصيرته، ليعي سمة البيان في القرآن الكريم.

يقول تعالى:"**هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ** ﴿١٣٨﴾" (آل عمران: 138)

☙ فضل القرآن الكريـم :

لا ريب أنّ القرآن الكريم كان له أثره الأدبي واللّغوي فضلا عن أثره الدّيني والروحي، والقرآن معجزة التاريخ العربي خاصة، وأصل النهضة الإسلامية، أما في مجال الأدب فقد تأثّرت بالقرآن جميع فنون الأدب العربي شكلاً وموضوعا مع ما ظهر في هذا الأخير من قيم جديدة روحية وعقلية، واجتماعية، وإنسانية مستقّاة من القرآن بحرص وتقديس. فأين يكمن فضل وأثر القرآن الكريم إذن؟.

لقد تبوّأ القرآن في نفوس المؤمنين أعلى مقام، بل انفرد بالعناية العظمى، حتى صار أول كتاب

[1]- محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص 32.

مدون في تاريخ العربية، عكف العلماء على تدارسه، لتسير حركات التدوين والتأليف في أنواره، في تأثّر لبلاغته وبيانه للمعجزين فطال شعاعه حياة العرب الفكرية والأدبية والاجتماعية، والدليل على هذا أنّ كل العلوم قد نبعت من القرآن المجيد لتتّسع وتتجانس بعد ذلك. فاعتنى النحات بالمعرّب منه والمبني، وبضروب الأفعال ورسوم خط الكلمات ومنهم من أعرب مشكله، وكلماته فظهر علم النحو والصرف وباقي علوم العربية."[1]

واعتنى المفسّرون بألفاظه، واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية، وسمّوا هذا العلم لأصول الدّين. وهناك من تأمّل معاني خطابه، واستنبط منه أحكام ووقائع الأمم الخالية، وما فيه من حكم وأمثال ومواعظ."[2]

فلولا القرآن وأسراره البلاغية والبيانية ما اجتمع العرب على لغته ولقد كان أسلوبه البياني الذي جمع إليه العرب هو ما دفع العلماء إلى تتبّع اللّغات وتدوينها، ورواية شواهدها، ما يتجلى تأثير القرآن في اللّغة في إقامة أدائها على الوجه الذي نطقوا به، وتيسير ذلك لأهلها في كل عصر، فاستنقذ القرآن المجيد العرب من شتات اللهجات القبلية، فقارب بينها وألّف بين ألسنتها بالنّطق بأفصح لهجات العربية، مع توحيد اللّغة وتهذيبها من الحوشي والغريب فأحالها إلى الصفاء.

فنظر الكتّاب والشعراء إلى جزالته لفظه وبديع نظمه وحسن سياقه ليستنبطوا منه المعاني والبيان والبديع.

وهكذا انتشلت هذه العلوم بذورها في كنف القرآن الكريم، وكان الهدف الأسمى من هذا كله هو خدمة القرآن العظيم، وسيبقى هو الكتاب الخالد، والنّبع الفياض، والمعين الذي لا ينصب من الأسرار والدلائل المعجزة، ويظل أمام الدارسين الكتاب المفتوح الذي تنهل من فيضه كل الأجيال مدى الدهر.

---

[1]- مصطفى الرّافعي، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص117.

[2]- المرجع نفسه، ص117- 118 (بتصرف).

المبحث الأول :

أسلوب القرآن مفهومه وخصائصه

شغلت قضية الإعجاز مساحة كبيرة من الفكر الإسلامي والإنساني على مرّ العصور، ولا تزال إلى اليوم.ولقد تدارسها كثير من العلماء والبلغاء وأصحاب الكلام، فتعمّقوا في دراسة القرآن دراسة شاملة، بغية الوصول إلى بيان كنه الإعجاز وطبيعته مع إبراز وجوهه التي لا تنتهي عبر الزمن، فالقرآن معجز في نظمه، وبلاغته وأسلوبه المخالف لجميع أساليب كلام العرب رغم ما تميّزوا به من كونهم أهل البلاغة والبيان.

وعن الأسلوب القرآني نتحدث في الصفحات اللاحقة، في محاولة منّا للوقوف على مفهومه، ذاكرين آراء بعض العلماء من قدامى ومحدثين.

1- مفهوم أسلوب القرآن:

قبل الشروع في الحديث عن مفهوم الأسلوب القرآني يجدر بنا بداية الوقوف على معنى (القرآن)، ومعنى (الأسلوب).

أما عن معنى (القرآن) فهو في اللّغة" اسم مشتق من القراءة، والجذر الثلاثي للكلمة هو(قرء)، نقول قرأَ يقْرأُ، قَرأَ، وقراءةً، وقرآنًا. ومنه قوله تعالى:" إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ "(القيامة:17-18) .

أما في الاصطلاح يمكن القول أنّ القرآن كتاب **الله** تعالى، المنّزل على سيدنا **محمّد** ρ المنقول بالتواتر والمتعبّد بتلاوته، والمعجز ولو سورة منه." [1]

[1]- ينظر، صلاح عبد الفتّاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني دار عمار، عمان، ط 1، 2000 م، ص 13.

ثمّ إنّ لكتاب **الله** تعالى العديد من الأسماء أشهرها لفظة "القرآن"، وله أيضًا: الكتاب والنور، في قوله تعالى:"**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا** ﴿١٧٤﴾ " (النساء : 17).

وكذا الفرقان، في قوله تعالى:"**تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا** ﴿١﴾"(الفرقان :01).

أما عن كلمة (أسلوب) التي "صادفت في معناها بعض التفاوت لدى الدارسين والعلماء، فإذا عدنا إلى المعجمات العربية وجدنا مصطلح "الأسلوب" يدخل ضمن مادة (سلب)، التي تضم في المعاجم استعمالات شتى لما اشتقّت منها، غير أنّ الأصل فيها هو الأخذ: أخذ شيء من شيء.

قال **ابن دريد** (321هـ): سلبت الرجل وغيره، أسلبه سلبًا، وناقة سلوب، إذا فقدت ولدها بموت أو بنحر."[1]

وقال **الزمخشري**:" إنّ قولهم: أنف فلان في أسلوب. كناية عن التكبّر، فهو لا يلتفت يمنة ولا يسرة."[2]

وقد تباينت المعاني اللّغوية لمصطلح الأسلوب، حيث يطلق هذا الأخير في لغة العرب على: "الطريق الممتد ويقال للسطر من النخيل أسلوب."[3]

ويطلق أيضًا: "للطريق بين الأشجار، والشموخ بالأنف، والأسلوب هو الطريق والوجه، والمذهب، ويقال لطريقة المتكلم في كلامه."[4]

[1]- ينظر، محمد كريم الكوّاز، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1، 1426هـ، ص 35.

[2]- المرجع نفسه، ص 36.

[3]- مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار مسلم، الرياض، ط 2، 1996م، ص 151.

[4]- محمد الصالح الصديق، الوجيز في علوم القرآن وهدايته وأثره، دار هومة، الجزائر، 2014م، ص 279.

وقد أتى مصطلح الأسلوب في موضع آخر بمعنى الفن" فالأسلوب: الفن، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه."[1]

أما الأسلوب في الاصطلاح فهو "طريقة اختيار الألفاظ، وتأليفها للتعبير بها عن المعاني، أو هو طابع الكلام أو فنّه الذي ينفرد به المتكلم في تأدية المعاني، والمقاصد من كلامه."[2]

وقد اقترنت كلمة الأسلوب بالفن على نحو ما جاء في قول **ابن قتيبة** (276هـ)

"إنّما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتّسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب."[3]

كما نجد معنى الأسلوب عند **الخطّابي** قد اتّصل بمعنى الفن، وذلك في قوله وهو يعرض أنواع المعارضات بين الشعراء، ليقول في نوع منها"وأن يجر بأحد الشاعرين في أسلوب من أساليب...فيكون أحدهما أبلغ في وصف ما كان في باله من الآخر في نعت ما هو بإزائه...وذلك بأن تتأمل نمط كلامه، فإذا وجدت أحدهما أشدّ تقصيًا لها، وأحسن تخلُّصًا إلى دقائق معانيها، حكمت لقوله بالسّبق، إذ أن تمييز أسلوب الشاعر يأتي من التفنّن الذي سلكه في شدّة تقصّي المعاني، وكشف غوامضها والإجادة في عرضها."[4]

وفي موضع آخر "نجد امتزاجًا بين مفهوم الأسلوب والفن عند الإمام **عبد القاهر الجرجاني**، ليصير الاثنين عنده مفهومًا واحدًا، فقد ذكر الأسلوب وفسّره بالضرب من النّظم والطريقة فيه ما دام النّظم عنده معيار التفاضل، فقد دلَّ على أنّ الأسلوب هو الفن الذي يتفاضل فيه المبدعون من جهة، ويتبيَّن فيه الإعجاز من جهة ثانية."[5]

---

[1]- مصطفى مسلم، مرجع سابق، ص 151.

[2]- المرجع نفسه، ص 151 (بتصرف).

[3]- محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص 35.

[4]- المرجع نفسه، ص 39.

[5]- المرجع نفسه، ص 40.

أما عند **"حازم القرطاجنّي"** فالأسلوب عنده هو "طريقة الضّم والتأليف للأفكار الصغيرة داخل الغرض الشّعري فيما يشبه طريقة الضّم والتأليف للألفاظ، ويتجلّى ذلك في قوله: فكان الأسلوب بمنزلة النّظم في الألفاظ الذي هو صورة كيفية الاستمرار في الألفاظ والعبارات والهيئة الحاصلة عن كيفية النقلة من بعضها إلى بعض، وما يعتمد فيها من ضروب الوضع وأنحاء التأليف."[1]

وعليه فإنّ الأسلوب عند **القرطاجنّي** هو في مرتبة النّظم في الألفاظ.

ومعنى ذلك أنّ "الأسلوب هيئة تحصل عن التأليفات المعنوية، وأنّ النّظم هيئة تحصل في التأليفات اللّفظية والواجب أن يلاحظ المتأمل فيه التناسب والتلطُّف في الانتقال من جهة إلى جهة، والصيرورة من مقصد إلى مقصد."[2]

وبعد وقوفنا على معنى (الأسلوب) ننتقل إلى عرض بعض ما قيل، حول الأسلوب القرآني ومعناه كوجه من وجوه الإعجاز، وآراء بعض العلماء من قدامى ومحدثين في شأنه.

وأنسب ما قيل في تعريف أسلوب القرآن أنّه هو" طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه، ولقد تواضع العلماء قديمًا وحديثًا على أنّ للقرآن أسلوبًا خاصًا به مغايراً لأساليب العرب في الكتابة والخطابة والتأليف."[3]

"ثمّ إنّ الأسلوب غير المفردات والتراكيب لكلامه، وهذا هو السر وراء تباين الأساليب باختلاف المتكلمين من ناثر وناظم، مع أنّ المفردات وقواعد صياغتها، وتكوين الجمل والتراكيب التي يستخدمها الجميع واحدة."[4]

فمع "أنّ أسلوب القرآن لم يبرح معهود العرب في لغتهم من ناحية المفردات والجمل والقواعد العامة في صياغة التراكيب، ونسج الكلام، وذلك لأنّ القرآن قد نزل بلغة العرب، إلا أنّه انفرد بمذهبه

---

[1]- مصطفى مسلم، مرجع سابق، ص 151.

[2]- ينظر، محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص45 .

[3]- مصطفى مسلم، المرجع نفسه ، ص 151.

[4] - محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، ج ،2 ، ص 239.

الكلامي عن النهج العربي مباينًا لمألوفهم لا يشبه أي أسلوب من أساليبهم."[1]

ليأتي القرآن متميّزًا بأسلوبه الخاص منفردًا به عن سائر كلام البشر فهو نمط فذ في انتقاء الألفاظ، وإحكام التراكيب وفي البلاغة والفصاحة، وفي الروعة، وجمال الديباجة.

ولقد وجد الأسلوب القرآني مجالا طيّبًا في دراسات العديد من العلماء الذين اهتموا بإثبات إعجاز القرآن الكريم، في سبيل المقارنة بين أسلوب القرآن وغيره من كلام العرب.

وعليه فإنّنا نجد **الخطّابي** أحد هؤلاء العلماء الإعجازيين حيث أنّه أخذ في بيان وجوه الإعجاز في نظم القرآن وتأليفه وقد وصل إلى نتائج عظيمة الأثر في فهم الإعجاز.

"وقد بنى رأيه فيه على خصائص الأسلوب نفسه، وحدّدها في ثلاث جهات هي:

1. لفظ حامل.
2. معنى به قائم.
3. رباط لهما ناظم.

ثم إن القرآن في نظره صار معجزًا، لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنًا أصحَّ المعاني."[2]

فالإعجاز عنده "يكمن في روعة لفظه وحسن معناه، ودقة نظمه، وفي تأثيره في النّفوس وسريانه إلى القلوب حيث خصّ بلاغة القرآن بأنهما لا تجتمع لأحد من البشر ولا يجوز أن تأتي عليها قدرته، وإن كان أفصح النّاس وأعرفهم بطرق الكلام وأساليب البيان."[3]

ومعنى ذلك أنّ القرآن الكريم قد انفرد ببلاغته التي لا يقدر عليها أحد وإن كان عارفًا بأساليب وطرق الكلام.

---

[1]- حسن ضياء الدّين عتر، المعجزة الخالدة، دار البشائر الإسلامية، لبنان، ط3، 1415هـ، ص 199.

[2]- عبد العظيم المطعني، خصائص التعبير القرآني، دراسة بلاغية، ج 1، مكتبة وهبة، ص 142- 143.

[3]- محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص 39.

هذا وقد وجدنا "**الباقلّاني**" ينحو منحاه في ذلك من خلال وصفه لدرجات القول من حيث الاختلاف في البلاغة، والبراعة، والفصاحة، ثمّ نجده يذكر أنّ "نظم القرآن على تصرّف وجوهه وتباين مذاهبه.خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميّز في تصرّفه عن أساليب الكلام المعتاد."[1]

أي أن للقرآن أسلوبه الخاص الذي تميز به عن باقي الكلام، فهو المعجزة الكبرى لنبي الرحمةρ. "فهذا إذا تأمّله المتأمل تبيّن بخروجه عن أصناف كلامهم، وأساليب خطابهم إنه خارج عن العادة، وإنّه معجز، وهذه الخصوصية ترجع إلى جملة القرآن، وتميّز حاصل في جميعه."[2]

وفي هذا يذكر **الباقلّاني** "أنّ القرآن على اختلاف فنونه، وما يتصرف فيه من الوجوه والطرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالمتناسب، والمتنافر في الأفراد إلى حد الآحاد، وهذا أمر عجيب، تبين به الفصاحة وتظهر به البلاغة، ويخرج معه الكلام عن حد العادة ويتجاوز العرف."[3]

والمعنى من ذلك كلّه أنّ الإمام **الباقلّاني** "قد ركّز على الأسلوب المخصوص للقرآن الكريم، وحصر وجه إعجازه فيه. إذ نجده يقسم وجه الإعجاز البلاغي – وهو أن القرآن بديع النّظم، عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه – على عشرة معان، ومنها خروج أسلوب القرآن عن الأساليب المعتادة."[4]

وعليه فإنّ الأسلوب الذي اختص به القرآن المجيد كان أبين وجه من وجوه الإعجاز، فهو أحد الأسس التي بني عليها صرحه.

---

[1]- أبو بكر الباقلّاني، إعجاز القرآن، تحقيق، أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط 3، ذخائر العرب، 12، ص 46.

[2]- المرجع نفسه، ص 35.

[3]- المرجع نفسه، ص 38.

[4]- محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص 40.

وفي ذات السياق نجد **حازم القرطاجنّي** "يدافع عن هذا التميّز الأسلوبي للقرآن الكريم من خلال رأيه في إعجاز القرآن، حيث ذهب فيه إلى أنّ الوجه في الإعجاز البلاغي من حيث استمرت الفصاحة و البلاغة فيه استمرار لا يوجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر، وفي كلام العرب لا تستمر الفصاحة والبلاغة في العالي منه إلا في الشيء اليسير، ثمّ تعترض الفترات الإنسانية فينقطع طيب الكلام ورونقه."[1]

معناه أنّ الإعجاز في القرآن"يكون من حيث استمرار اتّصاف الأسلوب القرآني بالفصاحة، والبلاغة في جميع الأنحاء التي اتّجه إليها القرآن الكريم، على خلاف ما في كلام العرب فلا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أغراضه برتبة واحدة من العلوّ."[2]

أما القاضي **عيّاض** فقد تناول هو الآخر قضية الإعجاز ذاكرًا وجوهها، ومنها:

أولا: "حسن تأليفه، والتئام كلامه، وفصاحته ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة عادة العرب.

ثانيًا: صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه."[3]

وفي هذا نجده قد اعتبر أسلوب القرآن المباين لأساليب العرب وجهًا من وجوه الإعجاز، فيتفرّد عن ما عداه من الكلام يصل إلى درجة عليا وراقية يعجز عن محاكاته البلغاء وملوك البيان.

هذا وقد أسهم الإمام **عبد القاهر الجرجاني** إسهامًا كبيرًا في مسألة الإعجاز البلاغي باعتباره من أبرز علماء البلاغة، ومن خلال تعمّقه في هذه المسألة ضمن كتابيه (دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة) نرى الإعجاز لديه "يكمن في النّظم، والتأليف على طريقة مخصوصة وليس شيئًا خارجًا منه.

---

[1]- محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص 43.

[2]- المرجع نفسه، ص 44.

[3]- عيسى بن ناصر الدريبي، مقال أدبي."نظرات في الإعجاز القرآني والتحدي"، مجلة جامعة الملك سعود، م 20، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (1)، 2008م - 1429هـ، ص 90

والنّظم عنده هو توخّي معاني النحو وأحكامه فيها بين الجمل والكلمات، وأنّ الوجوه البلاغية ليست أصلا في الإعجاز وإنّما تدخل في مقدماتها من حيث أنّها دعامة في بناء الأسلوب أو النّظم الرفيع، والقرآن إنّما أعجز العرب بهذا الوصف دون ما سواه."[1]

و في موضع آخر نجده يقول في ضرب من الاستعارة سماه الصميم الخالص، وهو أن يأخذ الشبه من الصور العقلية كاستعارة النور للبيان في قوله تعالى :"**فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ** ﴿١٥٧﴾ " (الأعراف: 157).

حيث نجده يقول:" واعلم أنّ هذا الضرب هو المنزلة التي تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها ويتّسع لها المجال في تفنّنها...وهاهنا تخلص لطيفة روحانية فلا يبصرها إلا ذوو العقول النافذة، والطباع السليمة، والنفوس المستعدة لأن تعي الحكمة، وتعرف فصل الخطاب."[2]

وعليه فإنّ "استعارات القرآن وتشبيهاته، وتقديمه وتأخيره، ومجازه وما وجد في القرآن ممّا تنتظمه فنون البلاغة الثلاثة، خارج عمّا وجد من أمثاله في كلام العرب شعره ونثره، فإذا اختلفت الخصائص خرج أصل فريد، ونوع متميّز، وذلك هو القرآن الكريم."[3]

وانطلاقًا ممّا سبق نستطيع القول أنّ اختلاف وجهات النّظر لدى العلماء الذين اهتموا ببيان طبيعة الإعجاز ودراسته كلّها كانت منصبة على وجوه هذا الإعجاز، وبالرغم من ذلك إلا أنّهم أجمعوا على أنّ الأسلوب القرآني يعد من أبرز وجوهه، وقد كان كتاب **الله** تعالى منفردًا بأسلوبه عن باقي الكتب السماوية الأخرى وعن سائر كلام البشر، وفي هذا التميّز والإنفراد يكمن سر إعجازه.

وزيادة على ما سبق من ذكر لنظرات بعض العلماء الإعجازيين القدامى حول الأسلوب القرآني المعجز، ننتقل إلى الثقافة النّقدية الحديثة لنجد العديد من العلماء العرب المحدثين قد اعتنوا بدراسة

[1]- عبد العظيم المطعني، مرجع سابق، ص 151 (بتصرف).

[2]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق مصطفى شيخ، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت/ دمشق، ط 1، 2013م، ص 53 - 54.

[3]- محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص 43.

إعجاز القرآن الكريم، وتبيان وجوهه، وفي هذا الصدد سنذكر كيف تناول هؤلاء العلماء الأسلوب القرآني، وهل اعتبروه كسابقيهم وجهًا من وجوه الإعجاز؟.

ولعلَّ من أبرز العلماء المحدثين من كتبوا في أوجه الإعجاز القرآني **مصطفى الرّافعي** الذي ألَّف كتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية) وقد تناول فيه العديد من القضايا في حديث مستفيض حول موضوع الإعجاز، وقد تجلّى هذا الأخير عنده في بلاغة النّظم، حيث اعتبر أسلوب القرآن هو مادة الإعجاز، وأنّ "في القرآن مظهر غريب لإعجازه المستمر لا يحتاج في تعرّفه إلى رويّة ولا إعنات، وما هو إلا أن يراه من اعترض شيئًا من أساليب النّاس حتى يقع في نفسه معنى إعجازه، لأنّه أمر يغلب على الطبع وينفرد به فيبين عن نفسه بنفسه، لا يحتاج امرؤ في معرفته وتمييزه إلى أكثر من سماعه."[1]

والمعنى من ذلك أنّ القرآن يحمل مظهراً لإعجازه يلمسه من كان له دراية بأساليب النّاس المختلفة بغلبة فطرته وطبعه، ولا يحتاج في السعي لإدراكه إلا أن يسمعه، فذلك كما قال **الرّافعي**:" هو وجه تركيبه أو هو أسلوبه فإنّه مباين بنفسه لكلِّ ما عرف من أساليب البلغاء في ترتيب خطابهم وتنزيل كلامهم، وعلى أن يؤاتي بعضه بعضًا وتناسب كل آية منه أخرى في النّظم والطريقة على اختلاف المعاني وتباين الأغراض."[2]

ويضيف قائلا: " أنّه ليس من شيء في أسلوب القرآن ويغض من موضعه أو يذهب بطريقته أو يدخله في شبه من كلام النّاس، أو يردّه إلى طبع معروف من طباع البلغاء، وما من عالم أو بليغ إلا وهو يعرف ذلك ويعد خروج القرآن من أساليب النّاس كافة دليل على إعجازه."[3]

وعلى هذا فإنّ القرآن الكريم منفرد بأسلوبه عن باقي الكلام، فخالف كل ما عرف من أساليب النّاس.

[1]- مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة التوقيفية، ص 201.

[2]- المرجع نفسه، ص 201.

[3]- المرجع نفسه، ص 201.

وفي نفس السياق نجده يعطي الأسلوب القرآني الأهمية والسبق لأنّه هو سر إعجازه، وفي هذا يقول:" أنّ القرآن إنّما ينفرد بأسلوبه لأنّه ليس وضعًا إنسانيًا البتّة، ولو كان من وضع إنسان لجاء على طريقة تشبه أسلوبًا من أساليب العرب، أو من جاء بعدهم إلى هذا العهد ولا من الاختلاف فيه عند ذلك بدّ في طريقته ونسقه ومعانيه."[1]

قال تعالى:"**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾**" (النساء: 82).

وقد أدرك العرب الفصحاء هذا التمايز في الأسلوب القرآني عن غيره من الأساليب العربية، وهذا من خلال استيلاء القرآن على عقولهم، وقلوبهم ونفاذه إلى أفئدتهم وضمائرهم.

وزيادة على ما ذكرناه فإنّ **الرّافعي** "ينوّه إلى أنّ أسلوب القرآن نراه من اللين والمطاوعة على التقليب، والمرونة في التأويل، وقد فهمه عرب الجاهلية بالرغم من أنّهم لم يكن لهم سوى الفطرة، وفهمه الفلاسفة والعلماء، وزعماء الفرق."[2]

ثمّ إنّ هناك من العلماء المجتهدين ممن تركوا أثرًا في ميدان الإعجاز، ونذكر منهم **محمد عبد الله درّاز**، صاحب كتاب (النّبأ العظيم) الذي تطرّق فيه للأسلوب القرآني، فكان أوّل ما التفت إليه في دراسة أسلوب القرآن هو خاصية التأليف الصوتي في الشكل والجوهر، مع أنّنا نجده قد عبّر عن الإعجاز الباهر في أسلوب القرآن مشيراً إلى أنّه" كان ملتقى نهايات الفضيلة كلّها على تباعد ما بين أطرافها."[3]

---

[1]- مصطفى صادق الرّافعي، مرجع سابق، ص 203.

[2]- المرجع نفسه، ص 206 - 207 (بتصرف).

[3]- محمّد عبد الله درّاز، النّبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، دار الثقافة، الدّوحة، 1985م، ص 102.

ثمّ إنّه هنا "يجمع بين جمال اللّفظ، وجمال المعنى دون انفصال بين الجمالين في إطار الصورة الأدبية الرائعة في كتاب **الله** تعالى ليعرض بذلك تلك النهايات التي رآها، والتي قد جمع الأسلوب القرآني بين أطرافها المتباعدة كما سبق وأن أشرنا."[1]

والجدير بالذّكر هاهنا أنّ **درّاز** قد اعتنى بإبراز الخصائص الأسلوبية التي ميزت أسلوب القرآن عن غيره من الأساليب ومنها :

- " القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى.
- خطاب العامة وخطاب الخاصة.
- إقناع العقل وإمتاع العاطفة.
- البيان والإجمال.
- الوحدة في الكثرة."[2]

وللإشارة فإن هذه الخصائص التي ذكرناها كانت هي نهايات الفضيلة البيانية، التي التقت في كلام **الله** تعالى وأسلوبه رغم تباعد أطرافها التي لا تجتمع في أسلوب آخر من أساليب الكلام المختلفة .

هذا وسيكون لنا وقفة مع هذه الخصائص بشيء من التفصيل في بابها .

ثم إن هناك من العلماء من اهتم بأسلوب القرآن الكريم من أمثال **سّيد قطب** الذي تناول الموضوع في كتابه (التصوير الفني في القرآن الكريم)، فقد عقد في مؤلفه هذا فصلا كبيرا بعنوان التصوير الفني، استهله بقوله:" التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشّاخصة أو الحركة المتجددة."[3]

---

[1] – محمّد عبد الله درّاز ، مرجع سابق، ص 102 (بتصرف).

[2] – صلاح الدين عبد التواب، النقد الأدبي . دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن، دار الكتاب الحديث، 2003م ، ج 2، ص 96.

[3] – عبد الله عوض الخباص، سيد قطب الأديب الناقد، الشهاب، الجزائر، ص 306.

وبما أن التّصوير الفني كما أشار إليه **سّيد قطب** هو الأداة المميزة لأسلوب القرآن فإننا نجده يحدد مفهومه ليقول: " أنه هو تصوير باللّون، وتصوير بالحركة وتصوير بالتخيل، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللّون بالتمثيل، وكثيراً ما يشترك الوصف، والحوار وجرس الكلمات، ونغم العبارات وموسيقى السّياق، في إبراز صورة من الصور، تتملّاها العين والأذن، والحس والخيال، والفكر والوجدان."[1]

ويضيف قائلاً:" أن التصوير في القرآن قاعدة كبرى، فهو تصوير حي أي منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجرّدة وخطوط جامدة، تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات، بالمشاعر والوجدانيات، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حيّة، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة."[2]

وعليه فإن **قطب** "قد اعتبر التصوير الفني القاعدة المتبعة في جميع الأغراض، فيما عدا غرض التشريع، والبحث ليس عن صور تجمع وترتب، ولكن عن قاعدة تكشف وتبرز."[3]

ثم إنّ أول ما يتّسم به أسلوب القرآن كما قال **أحمد بدوي** في كتابه (من بلاغة القرآن) :" هو القوة والجلال يكتسبها من انتقاء ألفاظ لا امتهان فيها ولا ابتذال، ومن استخدام ألوان التوكيد والتكرير، تشعر بهذه الفخامة في كل ما تناوله القرآن من الأغراض." [4]

حيث نجد أسلوب التنزيل يؤلّف بين الغرض الفني والغرض الديني بل إنه يتخذ الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني فيخاطب في الإنسان حاسته الوجدانية الدينية بلغة الجمال الفنية، فيظل جاريا على نسق واحد من السموّ في جمال اللفظ وعمق المعنى ودقة الصياغة وروعة التعبير رغم تنقله

[1] – سّيد قطب، التصوير الفني في القرآن، درا الشروق، القاهرة، 1968م ، ص 37.

[2] – المرجع نفسه، ص 37 – 38.

[3] – ينظر ، المرجع نفسه، ص 09.

[4] – أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر، مارس 2005م، ص 186.

بين موضوعات شتى من التشريع والقصص، والمواعظ والحجج، والوعد والوعيد، وتلك حقيقة شاقة بل ظلت وستظل مستحيلة لدى فحول علماء العربية والبيان ."[1]

وزيادة على ما أوردناه من آراء ومفاهيم حول الأسلوب القرآني عند هؤلاء العلماء نخلص إلى أنّ هذا الأسلوب القرآني قد وجد مداه في ميدان دراسة الإعجاز البلاغي، حيث كان ملبيًا لغرض العلماء في التفريق بين القرآن الكريم وكلام العرب من حيث البلاغة المعجزة وتفرّده عن غيره من أنماط الكلام المتعارف عليه بين الناس بالعلوّ والسموّ والرّفعة.

[1] – ينظر، نورة محمد، البلاغة في نظم القرآن، موقع حلو البيان في لفظ القرآن .

2- الخصائص العامّة للأسلوب القرآني:

لقد انفرد القرآن الكريم بفصاحته، وبلاغة تأليفه، وامتاز عن غيره من الكلام الفصيح بالطريقة السويّة في تآلف ألفاظه وتأدية معانيه دون تنافر ولا اختلاف ليكون بذلك أسلوب القرآن هو (مادة الإعجاز) كما تبنّى ذلك العديد من العلماء والدّارسين.

وفي هذا المجال فإنّ للأسلوب القرآني من الخصائص والميزات ما يجعله فريدًا، وخارجًا عن المعروف من كلام العرب، وله من جميل الأثر في النّفوس ما يجعله أسمى وأرفع من أن تحيط بأسراره الألباب أو تعبّر عن كماله ودقّته الألسنة والأقلام،" فأسلوب القرآن معجز في وصفه، كما أنّه معجز في نفسه إذ تلتقي عنده نهايات الفضيلة كلّها على تباعد ما بين أطرافها."[1] ولعلَّ من أبرز الخصائص التي امتاز بها أسلوب القرآن ما سنأتي على ذكره فيما يلي:

2-1. القصد في اللّفظ مع الوفاء بحق المعاني:

إنّ هاتين الخاصيتين لا يقدر أي أحد من البلغاء مهما بلغ من الشّأن العظيم في الفصاحة والبلاغة أن يجمع بينهما، وعليه" فالذي يعمد إلى ادّخار لفظه والقصد فيه مع عدم الإنفاق منه إلا على حد الضرورة لابد أن يحيف عن المعنى ولا يوفيه حقّه، والذي يعمد إلى الوفاء بحق المعنى، وتحليله إلى عناصره وإبراز حقائقه لابد أن يطيل الكلام ويمدّ فيه." [2]

أي أنّ المرء مهما تحرّى الجمع بين الإيجاز في اللّفظ والقصد فيه، إلى جانب تمام المعنى والوفاء فيه لن يصل إلى درجة الكمال، وبلوغ الغاية المرجوّة لديه وإن كان أبلغ البلغاء.

"وآية ذلك أنّك تراه حين يتعقب كلام نفسه من حين إلى آخر يجد فيه زائدًا يمحوه وناقصًا يثبته ويجد فيه ما يقدم أو يؤخر حتى يسلك سبيله إلى النّفس سويًّا، وكلّما كان أنفذ بصرًا و أدق حسًّا،

[1]- محمد درّاز، مرجع سابق، ص 108.

[2]- فضل عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار الفرقان، الأردن، ط 1، 1997م ، ص 122.

كان أقلَّ في ذلك قناعة وأبعد همًّا، فهو يرى وراء جهده بلوغ غايته من الكمال البياني الذي يطمح إليه ويتعلّق به خياله ولا يناله ألبتَّة."[1]

"فهو سجين الفطرة الإنسانية كلّما وفّق في التقريب بين الغايتين- إيجاز في اللّفظ ووفاء في المعنى- في جملة أو جملتين يتربص به الطبع البشري فيدركه الإعياء، والفتور فيذبل كلامه، ويتلاشى بيانه."[2]

وخلافًا لذلك ما نراه في أسلوب القرآن الكريم من"تناسق معجز وتأليف بديع يجمع بين هاتين الغايتين على تمامهما بلا انقطاع، فالنّاظر للقرآن الكريم يجد فيه بياناً قد قدّر على حاجة النّفس أحسن تقدير..يؤدّي لك من كل معنى صورة نقية وافية. نقية لا يشوبها شيء مما هو غريب عنها، وافية لا يشذّ عنها شيء من عناصرها الأصلية ولواحقها الكمالية، وكل ذلك في أوجز لفظ وأنقاه."[3]

ونضيف في هذا السّياق ما ذكره **محمد درّاز** في قوله:" ففي كل جملة منه جهاز من أجهزة المعنى وفي كل كلمة منه عضو من أعضائه، وفي كل حرف منه جزء بقدره، وفي أوضاع كلماته من جمله وأوضاع جمله من آياته سر الحياة الذي ينتظم المعنى بأداته."[4]

ففي القرآن الكريم نجد المعاني الكثيرة تؤدى بقليل من الألفاظ.

2-2. خطاب العامّة و خطاب الخاصّة:

لقد تنبّه العديد من العلماء إلى هذه الخاصية التي امتاز بها أسلوب القرآن الكريم عن غيره من أنواع الخطاب الأخرى، إذ أنّ اجتماع الغايتين – مخاطبة العامة والخاصة معًا – لا نجده إلا في القرآن الكريم ويندر وجوده في غيره من الكلام، فلو تأمّلنا أي خطاب من الخطابات سنجده موجها لفئة واحدة على الخصوص،" إما للعامة أو للخاصة فمن أراد مخاطبة الأولى لابد أن ينزل إلى مستواهم

[1]- محمّد درّاز، مرجع سابق، ص 110-111 (بتصرف).
[2]- المرجع نفسه، ص111.
[3]- فضل عباس، مرجع سابق، ص 121.
[4]- محمد درّاز، المرجع نفسه، ص 112.

فيوضح ويبيّن ولو اتّخذ نفس الأسلوب لمخاطبة الخاصة لكان الكلام معيبًا، وفي المقابل لو أنّ المتكلم خاطب العامة باللّمحة والإشارة التي يخاطب بها الأذكياء لجاءهم من ذلك بما لا تطيقه عقولهم، فهذان المطلبان ليسا من إدراك البشر على الإطلاق"[1]، "فلا يأتي كلام واحد على أتمّه يخاطب به العلماء والعامة، والملوك والسوقة والأذكياء ومن دونهم، والصغير والكبير، والذكر والأنثى ليرى كل واحد منهم في الخطاب مطلبه ويدرك معانيه إلا في القرآن العظيم وحده." [2]

"فيقرأه العالم والعامي على حد سواء فيدرك الأوّل فصاحته، وتهيمن عليه بلاغته وتنجلي له علومه ومعارفه فيجد فيه زمام فكره ومنهج علمه، فيذعن لربه ويؤمن بشرعه"[3]، يقول تعالى:"**ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧**" (غافر:07)

– أما الثاني فيشعر بجلاله ويذوق حلاوته، ويستولي على بيانه، وتغشاه هدايته فيخشع قلبه وتدمع عيناه فينقاد له ويذعن هو الآخر."[4] إذ يقول عز وجل:"**وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ۝١٧**" (القمر : 17

2–3.إقناع العقل وإمتاع العاطفة :

لقد أودع **الله** تعالى في نفوس البشر قوّتان، قوّة تفكير وقوّة وجدان، حيث تبحث الأولى باستمرار عن الحق لمعرفته، وعن الخير للعمل به. أما الثانية فنراها تسجل إحساسها بما في الأشياء من لذّة وألم،

[1]– فهد الرّومي، خصائص القرآن الكريم، مكتبة العبيكان، الرياض ط 9، ص 34 .
[2]– المرجع نفسه، ص 34 (بتصرف) .
[3]– المرجع نفسه، ص 34 .
[4]– المرجع نفسه، ص 34 .

والملاحظ أنّ حاجة كل واحدة منهما غير حاجة الأخرى."[1]

والمقصد من هذا الكلام أنّ قوّة التفكير وقوّة الوجدان هما قوّتان تتنازعان في النّفس الإنسانية، فيتأرجح صاحب هذه النّفس بينهما فتجذبه تلك حينًا وتجذبه الأخرى حينًا آخر، فلا يمسكهما معًا ألبتَّة."[2]

ثمّ إنّ "المتكلم إن وفّى في كلامه بحق العقل نراه يبخس حق العاطفة وفي المقابل نجده إن وفّى بحق العاطفة بخس حق العقل، فنرى قوّة الوجدان تظهر بضعف قوّة التفكير فلا يتقن عقله فكرًا ولا يصيب هدفًا، أمّا إذا تناقصت قوّة الوجدان ظهرت قوّة الفكر بجلاء فكم ترك المهموم من طعام، وكم هجر من لذيذ المنام."[3]

وعليه فإنّنا "لم ولن نرى إنسانًا عالمًا كان أو حكيمًا أو أديبًا أو شاعرًا أو بليغًا لديه القدرة على أن يمسك بالأمر من طريقه، فيأتي بكلام واحد فيه حاجة هاتين القوّتين، وإن وجدتا عند أحد البشر فيستحيل عملهما معًا وحضورهما سويّة فلا يعملان إلا مناوبة كلّما قويت واحدة اضمحلت الأخرى وكاد ينمحي أثرها." [4]

وفي هذا يذكر **محمد درّاز** "أنّ البيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين ويطير إلى نفسك بهاذين الجناحين، فيؤتيها حظّها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معًا."[5]

فذلك "لا تظفر به في كلام البشر أبدًا ولا هو من سنن **الله** تعالى في النّفس الإنسانية، بل اختصّ **الله** سبحانه بهذا كتابه القرآن الكريم فجمع في آياته بل الآية الواحدة قوة الحقيقة البرهانية، و قوة المتعة الوجدانية."[6]

---

[1] ينظر، فهد الرومي، مرجع سابق، ص 35.

[2]- المرجع نفسه، ص 36.

[3]- المرجع نفسه، ص 36.

[4]- ينظر، المرجع نفسه، ص 36.

[5]- محمّد دراز، مرجع سابق، ص 144.

[6]- ينظر، فهد الرّومي، المرجع نفسه ، ص37.

فهو كلام **الله** تعالى الذي" يمزج بين الحق والجمال معا، فهذا هو ما نجده في القرآن حيثما توجهنا فنراه في فصحة قصصه وأخباره لا ينسى حق العقل من حكمة وعبرة، ونراه في براهينه وأحكامه لا ينسى حظ القلب من تشويق وترقيق وتحذير وتنفير وتهويل وتعجيب... إذ نجد ذلك في مطالع آياته ومقاطعها." [1] يقول تعالى:" **تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾**" (الزمر:23) وقوله أيضا:"**لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾** "(الطارق: 13- 14).

ومعنى هذا أنّ "أسلوب القرآن يخاطب العقل والقلب معًا، وذلك عندما يسوق استدلاله سوقًا ويهز القلوب هزًا، ويمتع العاطفة إمتاعًا. بما ورد في طي هذه الأدلّة المسكتة المقنعة، حيث يقول تعالى:"**وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾** " (فصّلت : 39)."[2]

ثمّ إنّ المتأمل في هذا الأسلوب البارع الذي جمع بين إقناع العقل وإمتاع العاطفة يدرك ما له من الجمال الساحر والإعجاز الباهر الذي يستقبل عقل الإنسان وقلبه معا بأنصح الأدلّة وأمتع المعروضات.

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم وهو يسوق قصة يوسفU مع امرأة العزيز في قوله جلَّ شأنه: **وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾** " (يوسف : 23).

[1]- نور الدّين عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح دمشق، ط 1، 1993م، ص 214.

[2]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، ج 2، ص 247.

نلاحظ "قصة المراودة كيف اشتملت على العظات البالغة، والبراهين الساطعة، وآداب الشرف والعفاف والأمانة وخشية **الله** تعالى، وكيف قابلت بين الوقوع في الثلاثة:

1. مراودتها له.
2. إغلاق الأبواب.
3. دعوتها له (هيت لك)."[1]

"بدواعي العفة الثلاثة:

1. قوله (إنّه ربي).
2. قوله (أحسن مثواي).
3. قوله (إنّه لا يفلح الظالمون).

حيث نجد الآية قد صوّرت بجزالة لفظ، وفصاحة عبارة وسموّ معنى وهي في سياقة هذه القصة قد بسطت جوانب القضية وشخّصت الأحداث حتّى كأنّنا ننظر إليها من زاوية خفية."[2]

ثمّ إنّ "القرآن كلّه بجميع سوره وآياته الكريمة يسوق لنا القضايا ودقيق المعاني بأسلوب سائغ يسير على النّفوس أن تتجرع الأدلّة العقلية، ويرفّه عن العقول باللفتات العاطفية، ويوجّه العواطف والألباب معًا جنبًا إلى جنب لهداية الإنسان. ويقنع العقل ويمتع العاطفة في جمع لا يكون في كلام سواه فهو كلام **الله** تعالى." [3]

2- 4.الجمع بين الإجمال والبيان:

"الإجمال والبيان هما غايتان متقابلتان لا يمكن اجتماعهما في كلام واحد، فكلام الناس إما مجمل، وإما مبيّن، وإذا تساءلنا عن معنى اللّفظين يمكن أن نقول أن:

[1] – فهد الرّومي، مرجع سابق، ص 38.
[2] – ينظر، المرجع نفسه، ص 38.
[3] – المرجع نفسه، 38.

– المجمل:

هو ما له دلالة غير واضحة، أو ما يفتقر إلى البيان"[1] كقوله تعالى:"وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴿٤٣﴾ " "فلفظ (أقيموا) يفيد وجوب فعل متعيّن في نفسه، غير متعيّن بحسب اللّفظ، لهذا احتاج إلى مبيّن يبيّنه."[2]

– أما المبيّن:

فهو "ما يفرّق بين الشيء وما يشاكله فهو دلالة على المعنى المراد على سبيل البسط والتفصيل، والبيان هو إخراج الشيء من حيّز الإشكال إلى حيّز التجلّي والاتّضاح."[3]

وعليه "فإنّ الكلمة إما واضحة المعنى لا تحتاج إلى البيان، وإما خفّية المعنى تستدعي البيان والتّوضيح، ثمّ إنّ النّاس إذا عمدوا إلى تحديد أغراضهم لم تتّسع للتأويل وإذا أجملوها ذهبوا إلى الإبهام أو الإلباس. ولا يكاد يجتمع لهم هذان الطرفان في كلام واحد."[4]

وهذا على خلاف ما في القرآن وحده الذي يجمع بين المجمل والمبيّن فتسمع الجملة منه بيّنة ومجملة في آن واحد، وهذه عجيبة من عجائب أسلوب القرآن التي لا نجدها في كلام سواه.

والدليل هنا أنّ "القارئ يجد في الآية القرآنية من الوضوح والظهور ما يبوّئها درجة القمّة في البيان بذلك الأسلوب المعجز فيصل معناها إلى قارئها دون إعياء ذهن أو إعادة تلاوة، فيظّن أنّه قد أحاط بمعناها كاملا سويًّا إلا أنّه إذا أعاد النّظر مرة أخرى لاح له منها معان جديدة، وذلك هو سر الأسلوب القرآني ودلالة إعجازه الذي يخرق العادة."[5]

---

[1]– ينظر، جلال الدين المحلي، شرح الورقات في أصول الفقه، موقع نداء الإيمان. 1 شعبان 1438هـ.

[2]– محمد إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط 2 ، 1999م – 1419هـ، ج1، ص 232 .

[3]– ينظر، جلال الدين المحلي، المرجع نفسه.

[4]– محمد درّاز، مرجع سابق، ص 117.

[5]– محمد عبد العظيم الزّرقاني، مرجع سابق، ص 203 – 204 (بتصرف).

وإذا "أمعنّا النّظر في معاني القرآن نجدها مستمرة في التعدّد حتّى نرى للآية الواحدة وجوهًا كثيرة فتشعّ كل آية من القرآن بألوان شتّى من الإشارات وتعطى الكثير من الإيحاءات مع أنّ التعبير واحد لم يتغيّر ومجمل لم يعمد في بيانه إلى نوع التطويل."[1]

فإذا "تأمّلنا معناها (البيّن) الذي يتبادر إلى الذّهن، ثمّ هذه المعاني التي (أجملت) فيها بعد إمعان النّظر فيكون المراد بهذا أنّ آيات القرآن المجيد تجمع بين الإجمال والبيان، وهذا أمر يستحيل العثور عليه في كلام عدى القرآن."[2]

2- 5. الكثرة في الواحدة:

ترتبط هذه الخاصية بما ذكرناه آنفًا في أول حديثنا عن عظمة تلك الثروة المعنوية في أسلوب القرآن على وجازة لفظه، فيضاف إليه أمر آخر قال عنه **محمد درّاز**" أنّه زينة تلك الثروة وجمالها ذلك هو تناسق أوضاعها، وائتلاف عناصرها، وأخذ بعضها بحجر بعض حتّى إنّها لتنتظم منها وحدة محكمة لا انفصام لها."[3]

حيث أنّ اتّصاف أسلوب القرآن "باجتناب سبيل الإطالة والتزام جانب الإيجاز بما يتّسع له جمال اللّغة هو الذي جعله أكثر الكلام افتنانًا أي أكثره تناولا لشؤون القول، وأسرعه تنقّلا بينها من وصف إلى تشريع إلى جدل، ثمّ أنّه جعل الفن الواحد منه يتشعب إلى فنون أخرى."[4]

إضافة إلى كون القرآن "أكثر الكلام تنويعًا في الموضوعات، فهو أكثره تلوينًا في الأسلوب ضمن الموضوع الواحد، فالنّاظر للسّورة منه يجد تنقّلا عجيبًا من معنى إلى معنى، بل نجد التنقل في المعنى الواحد بين الإنشاء، والإخبار، والإظهار والإضمار إلى غير ذلك من طرق الأداء على نحو لا عهد لأحد بمثله."[5]

---

[1]- صلاح الدّين عبد التّواب، مرجع سابق، ص 80.

[2]- ينظر، فهد الرّومي، مرجع سابق، ص 36.

[3]-محمد درّاز، مرجع سابق، ص 142.

[4]- صلاح الدّين عبد التّواب، المرجع نفسه، ص 81 (بتصرف).

[5] - المرجع نفسه، ص 81 .

ضف إلى ذلك فإن "هذا التنقّل لو كان في كلام البشر لرأيته في اضطراب وتعثّر مستمر، إلا أنّ القرآن مع ذلك يستمر في الحفاظ على تلك الطبقة العليا من متانة النّظم وجودة السبك، فنجده يسوغ من هذه الأفانين الكثيرة منظراً مؤتلفًا متناسقًا فيا له من تآلف محكم، وتناسق بديع."[1]

وهنا "يظهر بجلاء سر الإعجاز والفرق الشاسع بين أسلوب القرآن وغيره من كلام البلغاء وأرباب البيان الذين وإن أحسنوا وأجادوا في غرض كان منهم الخطأ والإساءة في نظم تلك الأغراض، مع أنّ الموضوعات تكون لديهم محدّدة في المناسبة والزمان."[2]

هذا وقد جاء القرآن على الخلاف تماما فعلى الرغم من أنّ الموضوعات شتّى والمناسبات كثيرة، والأزمنة متباعدة إلا أنّ أسلوبه يأتي في نسق محكم ورباط متماسك، وعذوبة كانت مبعثا للإحساس بالروعة والجمال ومظهرا من مظاهر الإعجاز.

2- 6. المرونة والمطاوعة في التأويل:

تعدّ هذه الخاصية من أبرز خصائص الأسلوب في القرآن الكريم، إذ نجد فيه من مرونة في التأويل، ومطاوعة على التقليب بحيث لا يدانيه أي أسلوب آخر من الأساليب ثمّ إنّ "هذه المرونة لا تحتمل الآراء المتصادمة والمتناقضة فهي إنّما تجعله ذو دلالة واسعة. سعة المورد الذي تزدحم عليه الوفود ثمّ تصدر عنه وهي ريّانة راضية وفي هذا يذكر **الرّافعي** في كتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية) أنّ أسلوب القرآن فيه من اللين والمطاوعة على التقليب، والمرونة في التأويل، بحيث لا يصادم الآراء الكثيرة المتقابلة التي تخرج بها طبائع العصور المختلفة، فهو يفسّر في كل عصر بنقص من المعنى وزيادة فيه، واختلاف وتمحيص."[3]

[1]- صلاح الدّين عبد التّواب، مرجع سابق، ص 81.

[2]- ينظر، محمد درّاز، مرجع سابق، ص 143.

[3]- مصطفى صادق الرّافعي، مرجع سابق، ص 206.

وبذلك يكون أسلوب القرآن "شفاء لقلوب العامة، وكفاية للخاصة فظاهره يهدي النّاس ويملأ نفوسهم بالترغيب والترهيب إلى الجمال الأخاذ في التعبير والمشاهد القرآنية، أما باطنه العميق فيكفي أهل الفكر، ويشبع نهمهم إلى مزيد من الحكمة."[1]

وقد "فهمه عرب الجاهلية الذين لم يكن لهم إلا الفطرة، وفهمه كذلك من جاء بعدهم من الفلاسفة وأهل العلم، وفهمه زعماء الفرق المختلفة على ضروب من التأويل، وأثبتت العلوم الحديثة كثيراً من حقائقه التي كانت خفية وفي علم **الله** ما يكون من بعد."[2]

وفيه يضرب لنا **الرّافعي** مثلا من خلال الآية الكريمة التي يقول **الله** تعالى فيها:" **أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾** " (نوح: 15- 16).

وهنا نجده يذكر "أنّ العرب قد سمعت هذه الآية، ففهم بعضهم من نسقها أنّ القمر نور والشمس نور، ولكن اللّفظان اختلفا، النور والسراج، ليكون في ذلك التنويع البليغ.

ثمّ يفهم بعضهم الآخر أنّ القمر أضعف نوراً من الشمس لأنّ هذه الأخيرة قد عبّر عنها بالسراج الذي هو كالنور المنبعث من النّار."[3]

وقد يدقّق آخرون "فيرون أنّ الغرض من ذلك هو التعبير عن الشمس بأنّها تجمع إلى نور الحرارة فهذه فائدة في الحياة، أما الفائدة الأخرى هي أنّ النور نفسه لا تكاد تحسّ فيه الحرارة مثلما تحسّها في السراج ووهجه."[4]

---

[1]- مصطفى مسلم، مرجع سابق ، ص 152 (بتصرف).

[2] - مصطفى صادق الرّافعي، مرجع سابق، ص 206.

[3]- المرجع نفسه، ص 206 - 207 (بتصرف).

[4]- المرجع نفسه، ص 207.

ويضيف **الرّافعي** بعد هذا قائلا:" أنّ المفسّرين لم يتعدّوا المنزلة الثانية ولم يفطنوا حتى للثالثة ... ثمّ يفهم أهل القلوب الحديثة مع كل هذه الوجوه أنّ المراد من الآية هو إثبات ما كشفته هذه العلوم، من أنّ القمر جرم مظلم وإنّما يضيء بما ينعكس عليه من نور الشمس التي هي (سراجه) والنور لا يكون من ذات نفسه ابتداءً، فلابد من مصدر يبعثه فذكر في الآية السراج بعد النور دليلا على أنّه مصدره ذاك."[1]

وفي ذات السياق نرى "علماء السلف رضوان **الله** عليهم قد فهموا الآيات الكريمة التي قال فيها ربُّ العالمين:"**لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤** " (القيامة: 3-4).

ويقول أيضا:" **وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠** " (النازعات : 30). غير ما فهمه العلماء المتأخّرون بعد التطوّر الحاصل في العلوم الطبية والفلكية."[2]

وعليه فإنّ هذه المرونة في التأويل كانت من أسباب خلود القرآن الكريم حيث أنّ أساليب العرب منذ بزوغ شمس الإسلام قد اكتنفها الكثير من التغيير، وكان ذلك خلافًا لما للقرآن من بقاء وخلود لأسلوبه المتميّز بخصائصه الفريدة، والدليل هو أنّ القرآن الكريم كتاب الإنسانية الخالد، والمورد الذي تنهل منه كل الأمم على اختلاف الأزمان والعصور، فظل كلام **الله** تعالى رائع الأثر على ترامي الأجيال .

[1]- مصطفى صادق الرّافعي، مرجع سابق، ص 207.

[2]- مصطفى مسلم، مرجع سابق، ص 152.

المبحث الثاني :

سمات التّركيب الفنّي في الأسلوب القرآني

لقد حفل أسلوب القرآن الكريم بالكثير من السّمات الفنّية الرائعة وكان الهدف من إبراز هذه السّمات التي انفرد بها أسلوب الكتاب المجيد هو الوقوف عند المظهر الإعجازي الذي يتجلى في فنّيته وبلاغته الباهرة التي ألهمت العديد من دارسي الإعجاز الكشف عن تلك السمات وإبرازها .

وسنورد أهم ما اتّسم به أسلوب القرآن من الجانب الجمالي والفنّي.

1.جمال التأليف الصّوتي واللّغوي:

"إنّ أول ما يستدعي انتباهنا في القرآن الكريم هو خاصية تأليفه الصوتي شكلاً وجوهرًا.

– أمّا في الشكل: فنقول أنّ خاصية التأليف الصّوتي للقرآن هذه هي أول ما يسترعي سامع كلام **الله** تعالى وهو يتلى حق تلاوته بما فيه من الاتّساق والائتلاف في حركاته، وسكناته، ومدّاته، وغنّاته واتصالاته وسكتاته اتّساقًا عجيبًا وائتلافًا رائعًا بديعًا. فهو يستهوي النّفس عند سماعه بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم أو منثور"[1]، ذلك أنّ "السامع للقصيدة من الشّعر وهي متّحدة الأوزان في أبياتها وأشطرها قد يطرب لها عند سماعها أوّل مرّة ثم ما يلبث إلا وقد مجّها سمعه وملّها طبعه إذا كرِّرت وأعيدت عليه بتوقيع واحد، بينما يكون من القرآن في لحن متنوّع ومتجدّد، فلا يعروه منه على كثرة ترداده ملالة ولا سأم، ليبقى منه سامعه في طلب المزيد دائمًا."[2]

ثمّ إنّ هذا "الجمال التوقيعي في لغة القرآن لا يخفى على أحد، ممّن سمعه حتى الذين لا يعرفون لغة العرب.

[1]– محمد درّاز ، مرجع سابق، ص 102.

[2]– المرجع نفسه، ص 102 (بتصرف) .

ثمّ إنّ أوّل شيء أحسّته الأذن العربية هو ذلك النظام الصوتي البديع الذي قسّمت فيه الحركة والسكون تقسيمًا منوّعًا يجدد نشاط السامع لسماعه ووزعت في تضاعيفه حروف المد والغنّة توزيعًا بالقسط يساعد على ترجيع الصوت به وتهادي النّفس فيه ...إلى أن يصل إلى الفاصلة الأخرى فيجد عندها راحته العظمى."[1]

ولعلَّ المتتبع لهذا الجمال الصوتي في القرآن يجده قد تألّف تآلفًا عجيبًا تتبيّن من خلاله تلك الخاصية الصوتية في القرآن الكريم التي تميّز بها أسلوبه عن غيره من الأساليب.

– أما في الجوهر:

فهو أنّ "جوهر تأليف القرآن الصوتي يكمن في نظم حروفه الخارجة من مخارجها الصحيحة التي تفاجأ سامعها بلذّة أخرى تكون في نظم الحروف ورصفها، وترتيب أوضاعها فيما بينها: هذا ينقر، وذاك يصفر، وثالث يهمس ورابع يجهر، وآخر ينزلق على النّفَس، وآخر يحتبس عنده النّفَس فنرى كما يقول **درّاز** الجمال اللّغوي ماثلا أمامك في مجموعة مختلفة مؤتلفة لا كركرة ولا ثرثرة ولا رخاوة، ولا معاطلة ولا تناكر، ولا تنافر. "[2]

يبدو أنّ "هذه المخارج والصفات إنّما أخذ أكثرها من ألفاظ القرآن لا من كلام العرب وفصحائهم. ثمّ إنّ طريقة النّظم التي اتّسقت بها ألفاظ القرآن، وتألّفت لها حروف هذه الألفاظ، إنّما هي طريقة يتوخّى بها إلى أنواع من المنطق وصفات من اللهجة لم تكن على هذا الوجه من كلام العرب، حتى ظهرت فيه أوّل شيء على لسان النّبي ρ ، فجعلت المسامع تسترسل في الإصغاء للقرآن بانسجامه و اتّزانه على أجزاء النّفَس مقطعاً مقطعًا ونبرة نبرة."[3]

---

[1]– محمد درّاز، مرجع سابق، ص 103.

[2]– المرجع نفسه، ص 103 (بتصرف).

[3]– مصطفى صادق الرّافعي، مرجع سابق، ص 212 – 213.

وزيادة على هذا يذكر **الرّافعي** أنّ "القرآن لما قرأ على العرب، رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جمله ألحانًا لغوية رائعة، كأنّها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها، لم يفتهم هذا المعنى. وأنّه أمر لا قبل لهم به، وقد كان ذلك أبين في عجزهم."[1]

وفي هذا الشأن يذكر صاحب النّبأ العظيم أنّ النّاس، إنّما عجزوا عن إخضاع أسلوب القرآن لألسنتهم وأقلامهم لأن"فيه المنعة الطبيعية التي كفت ولا تزال تكفُّ أيديهم عنه، وذلك لغريب تأليفه في بنيته وما اتّخذه في رصف حروفه وكلماته، وجمله، وآياته، من نظام له طابع خاص به، خرج فيه عن هيئة كل نظام تعاطاه النّاس أو يتعاطوه، فلم يجدوا سبيلا يسلكونه إلى تذليل منهجه.

هذا وقد كان هذا النّظم هو الذي صفّى طبائع البلغاء بعد الإسلام وتولّى تربية الذوق اللّغوي فيهم."[2]

فلولا القرآن وهذا الأثر من نظمه العجيب، لذهب العرب بكل فضيلة في اللّغة بل لما بقيت اللّغة نفسها.

2. الملائمة بين الألفاظ والمعاني:

إنّ النّاظر "للألفاظ من حيث هي أبنية صوتية مادتها الحروف وصورتها الحركات والسكنات، يرى أنّها تمثل الأداة لتصوير المعاني ونقلها من نفس المتكلم إلى نفس المخاطب بها."[3]

حيث نجد العلماء في هذا الباب يقفون أمام مظهر من مظاهر الإعجاز في كتاب **الله** تعالى، ألا وهو التلاؤم بين اللّفظ والمعنى، واستدعاء كل منهما للآخر على أتّم ما يكون.

حيث "يتوقف هذا التلاؤم على حسن اختيار اللّفظ المناسب للمعنى وهو مدار البلاغة كلّها، ومن أبرز سمات أسلوب القرآن وقد كان **الرّماني** من أوّل الذين التفتوا إلى هذا الوجه من وجوه البلاغة

[1]- مصطفى صادق الرّافعي، مرجع سابق ، ص 214.

[2]- - محمد درّاز، مرجع سابق، ص 105.

[3]- المرجع نفسه، ص 106 (بتصرف) .

ليعدَّه مظهرا للإعجاز، وقد اعتبره من جاء بعده من أبرز سمات الجمال في الأسلوب القرآني.

وقد نظر **الرّماني** إلى هذا التلاؤم "من خلال الوضع التركيبي بين الكلمات وبعضها وكان قصده هو تعديل الحروف في هذه الكلمات عند التركيب حتى تسلم من التنافر."[1]

واعتبارًا لهذا نجده يقسم التأليف إلى ثلاثة أقسام :

- "متلائم في الطبقة العليا (وهو القرآن كلّه).
- المتنافر ومثاله قول الشاعر:

وقبــرُ حربٍ بمكان قفـــــــرِ ** وليس قُربَ قبرِ حَربٍ قبـــــرُ**

- المتلائم في الطبقة الوسطى ومثاله قول **أبي حيّة النميري:**

رمتْني وسِتْرُ الله بيني وبينهـــــا ** عَشيّةَ آرامِ الكناس رميـــــــمُ.** "[2]

ومن خلال هذا نرى أنّ **الرّماني** قد اعتبر هذا التلاؤم "بابًا من أبواب بلاغة القرآن الفائقة، وهو عنده نقيض للتنافر، مع النّظر إليه باعتبار شكله العام في وضع اللّفظة مكانها في الجملة من حيث الدلالة على المعنى المراد، فيكون هذا المدى من التأثير في النفس نتيجة ذلك الأسلوب المتلائم في ألفاظه ومعانيه."[3]

هذا وقد أشار **الرّماني** إلى أهمية هذا التلاؤم بقوله:" والفائدة من التلاؤم حسن الكلام في السّمع، وسهولة اللّفظ، وتقبّل المعنى له في النّفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة، ومثل ذلك مثل قراءة الكتاب في أحسن ما يكون من الخط والحروف، وقراءته في أقبح ما يكون من الحرف والخط، وذلك متفاوت في الصورة وإن كانت المعاني واحدة."[4]

---

[1] – محمّد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 2، 1997م- 1418هـ، ص 140.

[2]– المرجع نفسه، ص 140- 141.

[3]– صلاح الدّين محمّد عبد التّواب، مرجع سابق، ص 129.

[4]– ينظر، أبو الحسن الرمّاني، النّكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، للرّماني و الخطابي و الجرجاني، ت.محمد خلف و محمد زغلول، دار المعارف، مصر، ص 96.

وعليه فإنّ السبب في التلاؤم "تعديل الحروف في التأليف، فكلّما كان أعدل كان أشدّ تلاؤمًا، وأمّا التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد، ومعنى ذلك أنّه إذا بعد البعد الشّديد كان بمنزلة الطفر. وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة المشي المقيّد، لأنّه بمنزلة رفع اللّسان وردّه إلى مكانه، وكلتا الحالتين صعبة على اللّسان، ولعل السهولة من ذلك في الاعتدال."[1]

وفي ذات الشأن يقول **الرّماني** في إشارة منه إلى أنّ التلاؤم "في التعديل من غير بعد شديد أو قرب شديد، وذلك يظهر بسهولته على اللّسان، وحسنه في الأسماع، وتقلّبه في الطباع، فإذا انضاف إلى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات ظهر الإعجاز للجيّد الطباع البصير بجواهر الكلام."[2]

أمّا **الباقلّاني** فنجد لديه مفهوم التلاؤم واضحًا من خلال ما قصده عندما تناول المعاني التي شرح بها تناهي القرآن في بلاغته إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه... ثمّ إنّ بهذا التلاؤم قد خرج الأسلوب القرآني "عن الوحشي المستكره والغريب المستنكر، وجعله قريباً إلى الإفهام يبادر معناه لفظه إلى القلب ويسابق المغزى منه عبارته إلى النّفس، وهو مع ذلك ممتنع المطلب عسير المتناول..."[3]

وعليه فإنّ العلماء قد أطالوا الحديث حول "مشاكلة اللّفظ للمعنى، وحسن الملائمة بينهما، ولعل الذي أرادوه هو دقّة اللّفظ في أداء معناه، وحسن مقدرته على أن ينقل الفكرة إلى القارئ أو السامع ليستقر في النّفوس."[4]

حيث "يعتمد التلاؤم على اختيار الكلمات ليس من ناحية المعاني فحسب بل من النّاحية الفنّية أيضاً من خلال إيحائها بالأفكار المرتبطة بها وكذا بالوقع الذي تحدثه في سياق الكلام، وتجدر الإشارة إلى أنّ في التلاؤم نوعان :

---

[1]-ينظر، أبو الحسن الرّماني، مرجع سابق ، 94 – 95 – 96.

[2]- المرجع نفسه ، ص 96.

[3]- أبو بكر الباقلّاني، إعجاز القرآن، تحقيق، أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط 3 ذخائر العرب، 12، ص 46.

[4] - صلاح الدّين عبد التّواب، مرجع سابق، ص 129- 131 (بتصرف).

– **الأوّل**:وتبدو فيه الألفاظ ملائمة لبعضها ليس فيها لفظة نافرة من أخواتها مراعاة لحسن الجوار.

– **الثاني**: وفيه يتلاءم اللّفظ مع المعنى المراد، فإن كان فخماً كانت ألفاظه فخمة، أو جزلا فجزلة أو غريباً فغريبة أو متداولاً فمتداولة."[1]

ومن الأكيد أنّ كلا النّوعين على أروع ما يكون من التلاؤم في أسلوب الذّكر الحكيم الذي امتاز به عن باقي الأساليب.

3– الوحدة الفنّية في أسلوب القرآن:

لقد لفتت هذه الظاهرة أنظار العلماء في دراساتهم حول القرآن للتعرف على نواحي الإعجاز فيه، "وبما أنّ القرآن فيه من فنون الأحكام الفرعية، والإعتقادية والخلقية، وفيه من فنون الوعظ وقصص الأنبياء والصالحين والطائعين، والعاصين، وبما فيه من آيات في العبادات والمعاملات إلا أنّنا نراه يجمع بين هذه الفنون كلّها في سورة واحدة في بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلّية على أسس وأصول وشعب وفصول."[2]

"وفي التنقّل بين أجزائها لا نحسّ بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق ولا بشيء من الانفصال، بل نرى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة وبين آحاد الجنس الواحد نهاية الالتحام والتنسيق. وعلى هذا المنوال توالت سور القرآن المجيد."[3]

وهذا هو الذي وجّه عناية العلماء ودفعهم إلى الاهتمام بالوحدة الفنّية في أسلوب القرآن. وقد كان **الباقلّاني** أوّل الذين تنبّهوا في دراساتهم للوحدة الفنّية في القرآن الكريم التي ميّزت أسلوبه.

"ولم يكتفي **الباقلّاني** في دراسته للقرآن بتلك النّظرات الجزئية في الآيات وإنّما تناول السورة بأكملها للوقوف على الخصائص الفنّية في القرآن ككل متكامل.

---

[1]– صلاح الدّين عبد التّواب، مرجع سابق، ص 129–131 (بتصرف).

[2] – المرجع نفسه، ص 144 (بتصرف).

[3] – المرجع نفسه، ص 144– 145.

وقد حاول الإمام في كتابه (إعجاز القرآن) وهو يعرض الآيات من خلال السورة كلّها وإبراز النّواحي الجمالية فيها، في تأكيد منه أنّ السورة لا الآية وحدها هي المظهر الكامل للإعجاز."[1]

حيث نجده يقول في هذا الشأن:" لو لم تكن إلا سورة واحدة لكفت في الإعجاز، فكيف بالقرآن العظيم."[2]

ومن خلال قوله نستشف "أنّ القرآن الكريم في مجموعه قد تماسكت آياته وسوره، وترابطت في وحدة فنّية رائعة متّخذة من الوسائل ما يحقق لها تلك الرابطة الوثيقة في الأسلوب القويم، فإذا كانت الآية الواحدة من القرآن معجزة فإنّ تماسك الآيات والسوّر على هذا الوضع العجيب لهو الآية العظمى في الإعجاز."[3]

وقد دفع القول بالوحدة الفنّية "دراسة تلك الوسائل المتّصلة بها وذلك من خلال ما برز في الدراسات القرآنية من اهتمام بتلك المسائل الهامة، من أمثال: مراعاة التناسب بين الآيات والسور، ومراعاة المواطن التي يحسن فيها الفصل والوصل، ثمّ براعة الاستهلال، وحسن الختام، وبراعة التنقّل وغيرها مما يخدم فكرة الوحدة الفنّية كأبرز سمة من سمات أسلوب القرآن."[4]

وفي هذا الشأن نجد **الباقلّاني** يشير إلى مراعاة تلك الوسائل بقوله:" فأجّل الرأي في سورة سورة، وآية آية، وفاصلة فاصلة، وتدبّر الخواتم والفواتح، والبوادي والمقاطع، ومواضع الفصل والوصل، ومواضع التنقّل والتحوّل ثمّ اقض ما أنت قاض."[5]

ولعل من أهم الموضوعات التي تخدم فكرة الوحدة الفنّية في أسلوب القرآن موضوع تناسب الآي والسوّر.

---

[1] صلاح الدّين عبد التّواب،مرجع سابق، ص 145 (بتصرف).

[2]- الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 195.

[3]- صلاح الدّين عبد التّواب، المرجع نفسه، ص 145 (بتصرف).

[4]- ينظر،المرجع نفسه، ص 145- 146.

[5]- الباقلّاني، إعجاز القرآن، المرجع نفسه، ص 193.

وقد وقف عليه العديد من العلماء والمفسّرين ووضعوه في دراستهم موضع العناية والتقدير من أمثال الشيخ **برهان الدين البقاعي** في كتابه (نظم الدّرر في تناسب الآية والسوّر)، والإمام **فخر الدين الرّازي** الذي يقول عن سورة البقرة:" ومن تأمّل في لطائف هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها علم أنّ القرآن كما أنّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضًا بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعلَّ الذين قالوا إنّه معجز لسبب أسلوبه أرادوا ذلك..."[1]

أما إذا انتقلنا إلى الإمام **السيوطي** فسنجده هو الآخر قد "عقد فصلا للمناسبة وجعل مرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط، إمّا عام أو خاص، عقلي أو حسّي أو خيالي إلى غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلاؤم الذهني، كالسبب والمسبّب، والفائدة أنّ المعنى الرابط جعل أجزاء الكلام بعضها آخر بعناق بعض، فيقوى الارتباط ويصبح التأليف كالبناء المحكم، المتلائم الأجزاء."[2]

وعليه نرى أنّ **السيوطي** قد "أكثر من ذكر حديث الربط وأسبابه بين السوّر و الآيات في القرآن الكريم الأمر الذي يدل بجلاء أن العلماء منذ القديم لم يغفلوا الحديث عن تلك الوحدة القرآنية ودواعيها إذ لم يكن القدامى وحدهم من تنبّه إلى هذه الظاهرة، حيث نجد المحدثين أيضا قد وقفوا جهودهم لدراسة تلك الوحدة الفنية في القرآن المجيد باعتبارها من أبرز سمات أسلوب الذكر الحكيم."[3]

ومن بين هؤلاء المحدثين نذكر **محمد عبده** الذي نجده يعقب في كتابه (تفسير المنار) على تلك السمة البارزة في أسلوب القرآن وذلك من خلال قوله:" وهذا الضرب من البيان ممّا امتاز به القرآن على سائر الكلام فإنّك لترى فيه من الاستدراك والاحتراس قد جاءت من خلال القصص وسياق

[1]- صلاح الدّين عبد التّواب، النّقد الأدبي، مرجع سابق، ص 147.
[2]- المرجع نفسه، ص 147 (بتصرف).
[3]- المرجع نفسه، ص 150.

الأحكام ...تقرأ الآية في حكم من الأحكام أو عظة من المواعظ أو واقعة فيها عبرة من العبر، فتراها مستقلّة البيان، ولكنّها باتّصالها بما قبلها قد أزالت وهمًا، أو تمّمت حكماً."[1]

"أما **رشيد رضا** فقد عدّ هو الآخر الوحدة الفنّية في القرآن – ذلك الرباط القوي المحكم من سوّر القرآن وآياته – وجهًا من وجوه الإعجاز، فأكّد أنّ إعجاز القرآن يكمن في أسلوبه وتركيبه."[2]

والجدير بالذكر أنّ طريقة التركيب في أسلوب القرآن ليبلغ مرتبة الإعجاز كفكرة قد تنبّه إليها العلماء في دراستهم لقضية الإعجاز القرآني أمثال **مصطفى الرّافعي** الذي رأى أن "في القرآن مظهر غريب لإعجازه المستمر ...ذلك هو وجه تركيبه، أو هو أسلوبه...أنّه يؤاتي بعضه بعضًا، وتناسب كل آية منه كل آية أخرى في النّظم. والطريقة على اختلاف المعاني وتباين الأغراض... فكأنّه قطعة واحدة على خلاف ما نجده في كلام كل بليغ من التّفاوت باختلاف الوجوه التي يصرفه إليها."[3]

أمّا صاحب النّبأ العظيم **محمد درّاز** فنجده هو أيضاً قد تناول مسألة الوحدة الفنّية في القرآن الكريم في دراسته تلك حيث نجده يقول من خلالها "أنّه إذا كان للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب ترتيبه معجزات، وفي نبوءاته معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات ومعجزات، فإنّه في ترتيب آية على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات."[4]

ومن خلال هذا نرى أنّ **درّاز** قد أولى اهتمامًا بالوحدة القرآنية وعدّها معجزة كباقي المعجزات في القرآن الكريم.

---

[1]- صلاح الدّين عبد التّواب، مرجع سابق، ص 151.

[2]- المرجع نفسه، ص 152.

[3]- مصطفى الرّافعي، مرجع سابق، ص 201.

[4]- محمد درّاز، مرجع سابق، ص 211.

4- إبداع النّظم وإحكام التأليف في أسلوب القرآن:

إنّ من أبرز ما أجمع عليه علماء الإعجاز في دراساتهم لأسلوب القرآن "ذلك النّظم البديع، والتأليف المحكم الذي لا نبصر نموذجه الأكمل والأجمل إلا في كتاب الله تعالى، ثمّ إنّ الالتفات إلى قيمة النّظم واعتباره من المظاهر الفنّية والجمالية في أسلوب القرآن، إنّما كان بعد تفحّص التراكيب والأساليب المختلفة للوقوف على ما تحمله من سمات فنّية."[1]

وكخطوة للوصول إلى "تلك النظرة الجمالية للنّظم قامت تلك الدراسات الأوّلية التي تتجلى في العديد من الآراء القائمة حول فكرة اللّفظ والمعنى وإلى أي منهما يرجع الفضل في الكلام، والحكم بالجمال. فهناك من انتصروا للمعنى مغفلين شأن اللّفظ، ومنهم من انتصر للّفظ وأغفل المعنى، ومنهم من ساوى بينهما، وقد نظر آخرون إلى الألفاظ من جهة دلالتها على معانيها في نظم الكلام."[2]

والمهم من ذلك أنّ الذين حفلوا بالمعنى قد قصدوا تقديمه على الألفاظ دون الإغفال من شأنها، فأنزلوها في الأهمية منزلة تلي المعاني، وفي هذا الشأن نرى **الجاحظ** وهو يردّ على **أبي عمرو الشيباني** في انتصاره للمعنى فقط، فيقول:" المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، والمدني، وإنّما الشأن في إقامة وتخير اللّفظ وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنّما الشعر صياغة وضرب من النسيج، وجنس من التصوير."[3]

ثمّ يعدّ **الجاحظ** بذلك " أوّل القائلين بقصر الحسن على الأسلوب والصياغة دون المعنى، حيث صرّح أنّ شأن الكلام شأن التصوير والصياغة حيث يقول: في كتابنا المنزّل الذي يدلُّ على أنّه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد، مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به..."[4]

---

[1]- صلاح الدّين عبد التّواب، النّقد الأدبي، مرجع سابق، ص119 .

[2]- المرجع نفسه، ص 119 (بتصرف).

[3]- المرجع نفسه، ص 119 - 120.

[4]- وليد قصاب، في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، دار الفكر، دمشق، ط 2، 2014 م، ص 97.

لتتبلور بذلك فكرة النّظم لديه "كفكرة لفظية تعتمد على حسن الصياغة وكمال التركيب، ودقة تأليف اللّفظ، وجمال النّظم. وقد ظهرت بوادر هذه الفكرة في كتابه المفقود (نظم القرآن)، إذ لم تكن مسألة النّظم قد وصلت إلى مرحلة كافية من النضج والاكتمال بعد."[1]

وتعد فكرة النّظم من أكثر الأفكار تداولا بين علماء البلاغة والباحثين في أسلوب القرآن وإعجازه، حيث نجد **الخطّابي** يشير إلى النّظم إشارة ليست بالعميقة قائلا: "اعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ، وفي أحسن نظوم التأليف، مضمناً أحسن المعاني."[2]

وفي هذا تتجلى "عناصر الكلام الثلاثة التي لا يقوم إلا بها، وهي: اللّفظ والمعنى، والنّظم، وقد كان هذا الأخير هو أهمّها، وفي هذا المعنى نجد **الخطّابي** يقول: يقوم الكلام بهذه الثلاثة:

لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأمّلت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا وأشدّ تلاؤمًا وتشاكلا من نظمه."[3]

أما القاضي **عيّاض**" فقد ذكر أوجهاً للإعجاز القرآني، أحدها صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاء عليه،و وقفت عليه مقاطع آياته،و انتهت إليه فواصل كلماته، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له..."[4]

والواضح من ذلك أنّ معنى النّظم هو تفرّد القرآن بأسلوب معيّن. خالف كل أساليب كلام العرب.

[1]- ينظر، وليد قصاب، مرجع سابق، ص 98.

[2]- أبو سليمان الخطّابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني والخطابي والجرجاني، تحقيق، محمد خلف الله ومحمد زغلول، دار المعارف، مصر، ط 3، ص 27.

[3]- المرجع نفسه، ص 27.

[4]- وليد قصاب، المرجع نفسه، ص 98.

وقد أشار **الباقلّاني** إلى النّظم هو الآخر وتناوله في دراساته حول القرآن و إعجازه معتبراً إيّاه أحد وجوه الإعجاز القرآني، وفي ذلك يقول:" والوجه الثالث أنّه بديع النّظم، عجيب التأليف، متَناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه..."[1]

وعليه فإنّنا نجد **الباقلّاني** قد صبّ كل اهتمامه على مسألة النّظم، والدليل على ذلك ما لاحظناه في قوله من اعتبار النّظم البديع في القرآن وجهًا ثالثًا من وجوه الإعجاز.

ثمّ إنّ فكرة النّظم تظل محط اهتمام العديد من علماء البلاغة والإعجاز وزيادة على ما ذكرنا نجد **الرّماني أبو الحسن** قد "تبنى فكرة أنّ أعلى مراتب البيان هو ما اكتملت فيه البلاغة من جمال التعبير وروعة الأداء من تعديل النّظم حتّى يحسن في السمع، ويسهل في اللسان وتتقبله النّفس."[2]

ثمّ نجده "يقف عند المعنى والعبارة والصورة، ويستنبط النّكتة من الآية في كتابه، (النّكت في إعجاز القرآن) الذي أخرجه لنا في إطار من البيان البلاغي، إذ تعتبر البلاغة لديه وجهًا للإعجاز، إضافة إلى ذلك فقد اعتبر النّظم طريقًا إلى البلاغة كأحد الوجوه التي تدخل ضمن مسألة إعجاز القرآن."[3]

وقد أشار **الأصبهاني** في نفس السياق إشارة أوضح إلى فكرة النّظم، "وتبيان أنّ الإعجاز المتعلّق بفصاحة القرآن وبلاغته ليس متعلّقًا بلفظه ومعناه، ويحتج في ذلك بأنّ ألفاظه هي ألفاظهم، ومعانيه قد وجد جلّها في الكتب المتقدمة، إنّما إعجازه يكمن في صورته التي هي النّظم المخصوص."[4]

وبناء على ما ذكرناه نلحظ أنّ النّظم البديع والتأليف المحكم كان من أبرز سمات أسلوب القرآن، وقد أوردنا تلك الأقوال لأولئك العلماء الذين كانوا قد تناولوا هذه الميزة ألا وهي النّظم والتأليف في دراساتهم ومؤلّفاتهم حول الإعجاز القرآني.

---

[1]- الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 35.

[2]- فهد الرّومي، مرجع سابق، ص 22.

[3]- المرجع نفسه، ص 22 (بتصرف).

[4]- المرجع نفسه، ص 99 (بتصرف).

إلا أنّ فكرة النّظم قد أخذت طريقها إلى التجلّي والوضوح مع كل من القاضي **عبد الجبّار، وعبد القاهر الجرجاني.**

وانطلاقًا من هذا فإنّ القاضي **عبد الجبار** قد "رسم معالم فكرة النّظم القرآني في كتابه (المغني في أبواب التوحيد والعدل) حيث نصّ فيه على أنّ أفراد الكلام لا تظهر فيها الفصاحة وإنّما في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولابد مع الضم أن يكون لكل كلمة صفة."[1]

وفي هذا نجده يقول:" وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالإعراب...وقد تكون بالموقع...ولابد من هذا الاعتبار في كل كلمة، ثمّ لابد من اعتبار مثله في الكلمات إذا انضم بعضها إلى بعض."[2]

ثمّ إنّ **عبد الجبّار** "قد فسّر بدوره فكرة النّظم تفسيراً أدق ممن سبقه حيث نجده ينفي رجوع الفصاحة التي يفسّر بها الإعجاز القرآني إلى اللّفظ أو المعنى أو الصور البيانية، إنّما ترجع إلى الأسلوب والأداء والصياغة النحوية للتعبير."[3]

أما الذي "أعطى فكرة النّظم المجال الواسع والصورة الجلية أكثر من غيره من العلماء هو" **عبد القاهر الجرجاني**" رجل البلاغة وعلَمها، الذي سخّر كل جهده لتوضيح هذه المسألة، حتّى اكتملت الفكرة على يديه لتصبح نظرية تعرف به لها قواعد وأصول، وقد كان النّظم عنده شديد الارتباط بالنّحو أو هو بعبارة أخرى توخّي معاني النحو."[4]

ثمّ إنّ "معنى النّظم عند "**الجرجاني**" هو طريقة ترتيب الكلام وتركيبه على نحو مخصوص، متوخّى في هذا التركيب قواعد النحو ومعانيه، فهذه المعاني بها يترابط الكلام، ويتعلّق بعضه ببعض تعلّقًا يحدث الجمال البلاغي المقصود وترتب بموجبها الكلمات وفقًا لترتيب المعاني الأصلية والفرعية في النّفس."[5]

---

[1]- ينظر، فهد الرّومي، مرجع سابق، ص 22 - 23.

[2]- المرجع نفسه، ص 23.

[3]- المرجع نفسه، ص 23 (بتصرف).

[4] - ينظر، وليد قصاب، مرجع سابق، ص101 .

[5]- المرجع نفسه، ص 101 (بتصرف).

وفي المعنى ذاته نجده يقول في كتابه (دلائل الإعجاز) الذي بسط فيه نظريته وحدّد أصولها التحديد الدقيق:"اعلم أنّ ليس (النّظم) إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو" وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها."[1]

وبناء عليه، وبعد أن اكتملت فكرة النّظم لديه "سعى **الجرجاني** لإيضاح جمال ذلك النّظم القرآني البديع ضاربًا عديد الأمثلة للتدليل عليها مؤكدًا أنّ الفضل لا يعود للمفردات وهي منفردة وإنما يعود إلى ارتباطها وتآلفها بعضها إلى بعض"[2]، وكان من ضمن ما عرضه توضيحًا لفكرته ذلك التحليل الرائع لما جاء في فحوى الآية الكريمة التي يقول فيها ربُّ العالمين جلَّ وعلا:"**وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴿٤٤﴾ " (هود : 44).

وفي تحليله لهذه الآية الكريمة نجده يقول في شأنها:" فتجلّى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع، أنّك لم تجد ما وجدت من المزّية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة وهكذا... إلى آخرها .وأنّ الفضل حصل في مجموعها ."[3]

ولعل مراده من هذا التحليل هو تأكيد أنّ روعة النّظم تكمن في مراعاة الأصول النحوية في التركيب، ويواصل تعقيبه على الآية قائلا:" أفترى لشيء من هذه الخصائص – التي تملؤك بالإعجاز

[1] – وليد قصاب، مرجع سابق، 102.

[2] –صلاح الدّين، عبد التّواب، مرجع سابق، ص 124 (بتصرف).

[3] – عبد القاهر الجرجاني، مرجع سابق، ص 51.

روعة، وتحضرك عند تصوّرها هيبة تحيط بالنّفس من أقطارها – تعلّقًا باللّفظ من حيث هو صوت مسموع، وحروف تتوالى في النّطق؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتّساق العجيب؟. "[1]

ومعنى ذلك أنّ "جمال اللّفظة المفردة بما فيها من رشاقة وخفة جرس ولطف إيحاء، لا قيمة له ما لم تقع موقعها ويهيأ لها النّظم موضعها."[2]

وبذلك يكون النّظم القرآني البديع والتأليف الإلهي المحكم من أبرز سمات أسلوب القرآن الذي "يحمل طابعًا لا يلتبس معه بغيره، ولا يجعل طامعًا يطمع أن يحوم حول حماه، بل يدع الأعناق تشرئب إليه، ثمّ يردّها ناكسة الأذقان على الصدور."[3]

وللإشارة فإنّ هذه السّمات التي ذكرناها هي أهم ما ميّز التركيب الفنّي في أسلوب القرآن الكريم، وبما أنّ كلام المولى عزّ وجلّ لن يدرك جماله وروعة إعجازه أي أحد من البشر في أي زمن من الأزمان فهو كما قال الله تعالى:" **كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١** " (هود: 01).

---

[1]– عبد القاهر الجرجاني، مرجع سابق، ص 52.

[2] – صلاح الدّين، عبد التّواب،مرجع سابق، ص 126.

[3]– ينظر، محمد درّاز، مرجع سابق، ص 100.

المبحث الثالث:

اتّجاهات البحث في الأسلوب القرآني

1- الاتّجاه اللّغوي:

"لقد أراد **الله** تعالى أن يحمل العرب شرف رسالته، فجعلها بلسان عربي مبين إلى النّبي الكريم **محمّد** ρ، إذ يقول جلَّ شأنه:"**نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾**" (الشعراء : 193- 195)."[1]

"ولو أنزل القرآن بلسان غير هذا اللسان لتجافى العرب عنه، ولاحتجوا بتعذّر فهمه لأنّه ليس بلسانهم، ولهذا السبب نزل القرآن بعربيتهم التي هي لسان **محمّد** ρ ولسان قومه الذين أصغوا إليه وفهموه، ثمّ عرفوا فصاحته ليتيقّنوا بأنّه الكلام الإلهي المعجز الذي لا يعارضه أي كلام آخر."[2]

هذا وقد سعى العلماء المسلمون من العرب وغيرهم "إلى الاهتمام بلغة القرآن، واستكشاف مواطن الجمال في الآيات الكريمة، مع أنّهم قد اهتموا بالعربية في مطلع القرن الثاني للهجرة واضعين أصولها ورسومها، وقد وجدوا الطريق إلى ذلك بلغة قريش، التي نزل بها القرآن الكريم الذي أعلى شرفها وقدرها فسمى بالقرآن هذا اللّسان على غيره من الألسنة."[3]، وبهذا اصطفى هؤلاء العلماء "لغة قريش مقياساً لفصاحة لهجات القبائل الأخرى، حين ارتحلوا إلى البوادي يستمعون لكلام العرب الفصحاء ويدوّنون كل ما يسمعونه من كلام فصيح مع انتقاء اللّغة التي تقترب من لغة القرآن، ويهملون ما عداها."[4]

---

[1] – محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص 187.

[2] – المرجع نفسه، ص187.

[3] – المرجع نفسه، ص 187.

[4] – المرجع نفسه، ص 188 (بتصرف).

كما اهتّم العلماء بدراسة القرآن الكريم ذاته، "وكان لزامًا عليهم البدء بعربيته، فكثرت التآليف التي تناولت الحديث عن القرآن ومجازه ونظمه ولغته ومشكله، حيث أجهد كل عالم منهم نفسه لبلوغ ما يألفه بخصوص القرآن أقصى ما يمكن في الاحتجاج له والرد على كل طاعن فيه، بهدف خدمة كتاب **الله** عزَّ وجلَّ. ثم إنّ كل ذلك يصبُّ في الاتّجاه اللّغوي، مع اجتهاد جل المفكّرين والباحثين في دراسة الأسلوب القرآني من الوجهة اللّغوية."[1]

وبداية حديثنا عن هذا الاتّجاه ستكون من حيث كان أوّل العهد بالقرآن الكريم، "حيث نزل والنّاس آنذاك متفاوتون في درجة فهم معانيه وحتّى الصحابة (رضوان **الله** عليهم) شهدوا هذا التفاوت غير أنّ بعضهم من كان على اطلاع واسع باللّغة العربية وبغريبها، فالبعض منهم كان ملازمًا **للنّبي**ρ فعرف ما لم يعرفه غيره من أساليب، ثمّ إنّ هذا التفاوت كان ناتجا لاختلاف مواهبهم العقلية ودرجاتهم العلمية."[2]

هذا عن معاني القرآن، أما عربيته "فقد شقّ اثنان من صحابة رسول **الله** υ طريق العلماء إلى لغة العرب للوقوف على دراسة أسلوب القرآن، إذ ساهما في التمهيد للاتّجاه اللّغوي. أوّلهما **عمر بن الخطاب** τ حينما نبّه النّاس على كنز ثمين في تلمّس معاني القرآن ألا وهو الشّعر العربي حين قال: عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فإنّ فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم."[3]

أما الثاني فهو "**ابن عباس** τ ، الذي سنّ سنّة الرجوع إلى الشّعر العربي في تفسير القرآن الكريم فقال: إذا اشتبه عليكم شيء من القرآن فاطلبوه في الشّعر."[4]

---

[1]- ينظر، محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص 188.

[2]- المرجع نفسه، ص 189.

[3]- المرجع نفسه، ص 189.

[4]- المرجع نفسه، ص 189- 190.

وقد تميّز **ابن عباس**ت بطريقته التي اشتهر بها أكثر من غيره، حيث أنّه كان "إذا سأل عن القرآن أنشد فيه الشّعر، وقد لقيت هذه الطريقة اهتمامًا لدى علماء اللّغة فتبنّوها وقاموا بدراسة القرآن الكريم في ضوء أساليب العرب في كلامهم، ثمّ إنّ نموّ هذه الفكرة واتّساعها قد شمل فيما بعد جمع اللّغة والشّعر الفصيح من بوادي العرب ومضارب خيامهم، والتقاط كل ما يعرض عليهم من أساليب كلام العرب الفصحاء ليتم عرضها على أساليب القرآن وتلك إعانة على تفسيره وفهم معانيه."[1]

وفي مواصلة للحديث عن هذا الاتّجاه اللّغوي نقول أنّ له مرحلتين في دراسة أسلوب القرآن نذكرهما في هذا الصدد:

أمّا المرحلة الأولى "فتتجلى في تلك الجهود التي بذلت من قبل العلماء لتأكيد عربية أسلوب القرآن الكريم، في ضوء الظروف الجديدة التي شهدها المجتمع العربي ومنها بعد العهد بزمن نزول القرآن، واستغلاق معانيه على الناشئة وكذا احتكاك العرب بالأعاجم الذين كانت لغاتهم الأولى تحول دون فهم مرامي القرآن ومقاصده."[2]

حيث نجد "**سيبويه** (180هـ) يقول عن ما جاء في مضمون الآية الكريمة: "**وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ** ۝" (المطففين: 01) لا ينبغي أن تقول إنّه دعاء ها هنا، ولكن العباد إنّما كُلِّموا بكلامهم وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون."[3]

وفي كلامه إشارة إلى أنّ القرآن الكريم قد "نزل بلغة العرب، أي بلسان عربي مبين وتطابق أساليبه مع أساليبهم في الكلام، وقد سلك **الفرّاء** (207هـ) الاتّجاه الذي سلكه **سيبويه** في عربية القرآن، فعمد إلى تأليف كتابه بالرجوع إلى كلام العرب والاستناد عليه في عمله هذا، ولعل الداعي إلى وضع

[1]- ينظر، محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص 190.

[2]- المرجع نفسه، ص 190 بتصرف.

[3]- أبو بشر بن عثمان، سيبويه، الكتاب تحقيق عبد السلام هارون، دار المدني القاهرة، ط 3 ، 1988 م، ص 331.

مؤلِّفه هو ما شهده القرن الثالث الهجري من حاجة إلى تفسير معاني القرآن فتم بذلك جمعها في المصنّف ليسهل الرجوع إليه."[1]

وفي رجوعه إلى كلام العرب نذكر المثال الذي أورده في معانيه يقول تعالى:"**أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ** ﴿١٦﴾ " (البقرة: 16)، "ربّما قال فيه القائل: كيف تربح التجارة، وإنّما يربح الرجل التاجر؟ والجواب هو أنّ ذلك من كلام العرب ففيه ربح بيعك وخسر بيعك فحسن القول بذلك لأنّ الربح والخسر إنّما يكونا في التجارة فعلم معناه."[2]

والجدير بالذّكر أنّ **الفرّاء** "قد شغل بمطابقة القرآن لأساليب العرب، ولم يعنى ببيان المفارقة بين الأسلوبين، وفي هذا نجده مثيلا **لسيبويه** في الرجوع إلى كلام العرب في تفسير القرآن الكريم وتبيان طرق تصرف معانيه."[3]

ويأتي في ذات المسار الإمام **الشافعي** (204هـ) الذي "قدّم مبحث المبادئ اللّغوية ضمن البحث في أصول الفقه، ليصل إلى استنباط الأحكام من نص القرآن، وذلك يستدعي بالضرورة الإلمام بلسان العرب وفي نفس السياق نراه يقول: وإنّما بدأت بما وصفت من أنّ القرآن نزل بلسان عربي دون غيره لأنّه لا يعلم من إيضاح حمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرت وجوهه وجماع معانيه وتفرّقها، ومن علمه انتفت عنه الشّبه التي دخلت على من جهل لسانها."[4]

وزيادة على هذا فإنّ الإمام قد كشف في مقدمة رسالته عن "موافقة القرآن الكريم للّسان العربي في الاتّساع كتسمية الشيء الواحد بالأسماء العديدة، وفي تسمية المعاني الكثيرة بالاسم الواحد، وغير

[1]- محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص 192.
[2]- المرجع نفسه، ص 192.
[3]- المرجع نفسه، ص 193.
[4]- المرجع نفسه، ص 193- 194.

ذلك ممّا كانت العرب تعرفه، إلا أنّنا نجد بحثه في الأسلوب القرآني يقرب بحث اللّغويين أكثر من غيرهم."[1]

أمّا إذا انتقلنا إلى **أبي عبيدة** (210هـ) فسنجده"يمثل الاتّجاه اللّغوي في مرحلة إثبات عربية القرآن، كان كتابه (مجاز القرآن) بموضوعه القرآني، ومنهجه اللّغوي، يحمل خصائص فريدة يصح بها مثالا لدراسة أسلوب القرآن."[2]

ولعلَّ "الدافع وراء تأليف المجاز هو السعي للدفاع عن القرآن والرد على الطاعنين فيه، مع أنّه قد وضع كتابه مرجعًا للذين لم يألفوا أساليب الكلام العربي ومجازاته، لأنّه كان يدرك حاجة من تعلم اللّغة العربية دراسة لا فطرة فكان مراده من ذلك كفايتهم السؤال عمّا يغمض عليهم في الكتاب الكريم."[3]

وقد شمل بحثه في إثبات عربية القرآن على مستويين:

أ- مستوى التركيب:

"حيث فسّر القرآن بتراكيب العرب ومثاله ما جاء في فاتحة الكتاب قال ومجاز من جر (مَالِكِ) في قوله تعالى: " **مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ** ۝٤ " (الفاتحة: 04) إنّه حدث عن مخاطبة غائب ثم رجع فخاطب شاهدًا فقال: " إيّاك نعبد وإيّاك نستعين " وفي هذا تفسير لظاهرة الالتفات في القرآن.

أما في كلام العرب يقول عنترة:

شطت مزار العاشقين فأصبحت ** عسرا على طلابك ابنة مخرَمِ."**[4]

[1]- ينظر، محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص 194.
[2]- المرجع نفسه، ص 194.
[3]- ينظر، المرجع نفسه، ص 194- 195.
[4]- المرجع نفسه، ص 197.

ب- مستوى الأفراد:

"وفيه برهنة على خلوص عربية اللّفظ القرآني من العجمة، حيث نجد **أبا عبيدة** قد دفع كل شبهة عن عربية الكتاب المجيد فقال: نزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أنّ فيه غير العربية فقد أعظم القول."[1]

وممّا يلاحظ في مقدمة المجاز أنّ صاحبها "كان واعيًا بقضية المجازات، مع إدراكه لأهميتها في دراسة أسلوب القرآن، فضلا على أنّنا نراه يستخرجها من القرآن ويجمعها ويدرجها في موضع واحد من الكتاب مع شواهد قرآنية عديدة.

وللإشارة فإنّ مجاز القرآن قد ترك عظيم الأثر في مجال الإعجاز البلاغي، باعتباره مرتكزًا لغويًا قامت عليه الدراسات الفنّية لأسلوب القرآن، فقد أثبت أصالة لغته وتفوقها على كلام العرب."[2]

هذا وقد كان حديثنا فيما سبق من سطور حول المرحلة الأولى من الاتّجاه اللّغوي التي تضمّنت ما بذل من جهد من قبل العلماء لتثبيت عربية الأسلوب القرآني.

ولعلَّ "المرحلة الثانية من هذا الاتّجاه تظهر بجلاء فيما قدّمه **ابن قتيبة** حينما سار على خطى **أبي عبيدة** في الاتّجاه اللّغوي، فقد أفاد من نتائج دراسته في الدفاع عن أسلوب التنزيل، من جهة طعن الملاحدة فيه، وفي ذلك نجد **ابن قتيبة** قد وضع كتابه (تأويل مشكل القرآن) ليعطينا صورة بيّنة المعالم للتحوّل الذي طرأ على دراسة إعجاز القرآن، وذلك من خلال اكتساب هذه الدراسة شكل الدفاع عن كتاب الله تعالى."[3]

وانطلاقًا من هذا فإنّ **ابن قتيبة** قد "رتّب بحثه في الأسلوب القرآني ترتيباً أوّلياً كان كافيًا لسدّ الباب أمام محاولات التشكيك في أسلوب القرآن، وتعدّ جهوده في هذا المجال خطوة مهمة، ساهمت

[1]- ينظر، محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص 198.
[2]- المرجع نفسه، ص 199- 200.
[3]- المرجع نفسه، ص 200 (بتصرف).

في التمهيد لوضع مؤلّفات مستقلة في دراسة الإعجاز البلاغي ، وفي ما سبق ذكره نجد **ابن قتيبة** قد تأثّر في هذا الاتّجاه بسابقيه ويتّضح ذلك من خلال استشهاده بآراء **أبي عبيدة** في مصنّفه هذا."[1]

ومن يمعن النّظر في فحوى كتابه يجده قد "اقتصر فيه على الدفاع عن أسلوب القرآن بالإفادة من ثبوت عربيته عمومًا ولا سيما مجازاته، مع اهتمامه بدراسة أساليب العرب التي وردت في القرآن دراسة موسّعة بترتيب وتبويب كبيرين رافعًا بذلك الإشكال الحاصل في ظاهر النّص."[2]

ومع هذا فإنّنا لا نجده يعنى في ما وضعه بدراسة الإعجاز القرآني، "والتعمّق في خصائصه اللّغوية النوعية التي تفرّد بها، إلا أنّ النّاظر في مقدمة الكتاب يجده يشير إلى الإعجاز في القرآن من خلال قوله:" أن جعله **الله** تعالى معجز التأليف، عجيب النّظم متلوًا لا يمل على طول التلاوة، ومسموعًا لا تمجّه الآذان وغضًا لا يخلق على كثرة الرد، عجيبًا لا تنقضي عجائبه مفيدًا لا تنقطع فوائده، ونسخ به سالف الكتب، وجمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه."[3]

وعليه فإنّ جهود **ابن قتيبة** تعدّ مرحلة ممهدة لأن يتّجه العلماء اتّجاهًا فنّيًا في دراسة الأسلوب المعجز.

ويعدّ **الخطّابي** " أحد العلماء الذين اعتمدوا على ما اعتمده **ابن قتيبة** من بيان جهل الطاعنين بالعربية وأساليبها في زمن النزول، وفي هذا نجده ينقل خبراً عن **أبي عمرو ابن العلاء** يقول فيه:" اللّسان الذي نزل به القرآن وتكلّمت فيه العرب على عهد النّبي ρ عربية أخرى عن كلامنا هذا. وقد زعم بعضهم أنّ كلام العرب كان باقيا على نجره الأوّل وعلى طبعه الأقدم إلى زمان بني أمية ثم دخله الخلل فاختل منه أشياء."[4]

---

[1]- محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص 201 (بتصرف).

[2]- المرجع نفسه، ص 202 (بتصرف).

[3]- المرجع نفسه، ص 201.

[4]- أبو سليمان الخطّابي، مرجع سابق، ص 45 - 46.

وبناء على ما جاء في هذا القول نجد **الخطّابي** قد بنى على ذلك أمرين مهمين هما:

– **الأمر الأوّل**: "أن جلّ العلماء امتنعوا عن الاحتجاج والاستشهاد بشعر المحدثين أمثال **بشار ابن برد** و**الحسن ابن هاني** وأمثاله من الشعراء، ليكون مرجع استشهادهم هو شعر أهل الجاهلية والمخضرمين، والسبب في ذلك يكمن فيما كان في الزمان المتأخر. في علمهم بما دخل الكلام في هذا الزمان من الخلل والاستحالة عن رسمه الأوّل."[1]

وفي هذا نجد **الخطّابي** قد"أراد أن يقاس الكلام القديم بالمعهود من لغة أهل العصر، فإذا ظهر في الأوّل ما يخالف الثاني فلا يعني الخطأ، وإنّما الكلام الأوّل هو الأصل الذي يقاس عليه."[2]

– **أما الأمر الثاني**:"ففيه استغل **الخطّابي** ما استنتجه في الأمر الأوّل وطبّقه على القرآن الكريم وردّ به طعون الطاعنين وأبان عن سبل فهم أسلوب القرآن، ومن ذلك مسألة الفروق اللّغوية التي نجده يشير إليها في بيانه لعمود البلاغة المعجزة."[3]

وفي ذلك يقول:"اعلم أنّ عمود هذه البلاغة هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل على فصول الكلام موضعه الأخص والأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه:

– إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام.

– وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة. وذلك أنّ في الكلام ألفاظًا متقاربة في المعاني يحسبها أكثر الناس متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر والنعت والصفة."[4]

[1]– أبو سليمان الخطّابي، مرجع سابق ، ص 46.

[2]– محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص 204.

[3]– المرجع نفسه، ص 204 (بتصرف).

[4]– أبو سليمان الخطّابي، المرجع نفسه، ص 29.

والملاحظ ممّا سبق ذكره أنّ هؤلاء العلماء الذين اعتمدوا الاتّجاه اللّغوي في دراسة أسلوب القرآن قد أوصلونا إلى ما قدّموه في هذا المجال إلى استنتاج بعض النقاط أهمها:

1- "اقتصار **أبو عبيدة** على الشّعر العربي دون النثر في بحث مجازات القرآن.

2- لقد زحزح الشّعر العربي عن المنزلة التي كان يحتلّها في ثقافة المجتمع، وجعل فرعًا من فروع المعرفة، يخدم الأصل الجديد (القرآن الكريم).

3- لقد غفل **ابن قتيبة** فيما لاحظه من خصائص الأسلوب القرآني عن الشاهد من كلام العرب، مكتفيًا باعتماد الشواهد القرآنية في عديد المواضع."[1]

ولعلَّ "أهم نقطة لوحظت من خلال ما قدّمه هؤلاء العلماء ضمن هذا الاتّجاه هو الأخذ بتفسير مجازات الأسلوب القرآني بما يشابهها من كلام العرب، وتلك تسوية بين كلام **الله** تعالى وكلام البشر، وفي هذا الخطأ الكبير."[2]

ولعلَّ ذلك الدافع وراء تناول الاتّجاه الفنّي في الأسلوب القرآني ودراسته والكشف عن مدى تفرّده عن غيره من الأساليب العربية.

[1] - محمد الكوّاز ، مرجع سابق، ص 207.

[2] - المرجع نفسه، ص 207 - 208 (بتصرف).

2- الاتّجـاه الفنّـي:

يعدّ القرآن الكريم معجزة عقلية خالدة، بعثت نهضة فكرية، وكانت الجذوة التي في النفوس روح البحث والتأمّل، فوضعت العلوم وقعَّدت القواعد خدمة للقرآن الكريم، مع الإمعان في فهم معانيه، ومعرفة أحكامه.

يقول **ابن خلدون**:" إنّ علم البيان علم حادث في الملّة."[1]

ومعناه أنّ "البيان كان من العلوم التي تولّى المسلمون غراسها في سبيل فهم كتابتهم، وكان نماؤه بعد ذلك وتشعُّب مباحثه بتأثير الدّين، وبتوجيه المفكرين من حملته ورجاله."[2]

ثمّ إن"حدوث علم البيان يضع أيدينا على اتّجاه جديد في دراسة الأسلوب القرآني إذ لم يعد الاتّجاه اللّغوي كافيًا مع تقدّم الزمن وامتزاج الثقافات لمعالجة أسلوب القرآن المعجز، وقد عدّ العلماء محاولة أصحاب اللّغة محاولة ظاهرية، تبحث في القشرة السطحية دون التعمّق في المعاني، والكشف عمّا وراء اللّفظ، وتؤدي بالبيان في القرآن إلى الفهم المجرّد، الخالي من الذوق الأدبي، مع إدراك الصور الفنّية وعجائب الأسلوب التي ترتفع في سلم الإعجاز."[3]

ولعلَّ من أبرز الدوافع التّي ساعدت في أخذ العلماء بالاتّجاه الفنّي هي:

أولا:"الدفاع عن القرآن أمام من أنكروا الإعجاز فيه، وإغفالهم لما تستحقه بلاغته من علوّ شأن على سائر الكلام، فذهبوا إلى أنّ في كلام العرب ما يشبهه."[4]

ثانيًا:"فهم القرآن لا يكون إلا بالتعرف على أساليبه، وما ينطوي وراء تعبيراته من معاني ومقاصد، وتلك ضرورة قد أحسّها كل مسلم."[5]

---

[1] - محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص 211.
[2] - المرجع نفسه، ص 211.
[3] - المرجع نفسه، ص 211 – 212 (بتصرف).
[4] - المرجع نفسه، ص 212.
[5] - المرجع نفسه، ص 212.

ثالثًا:"إنّ طبيعة المعجزة البلاغية التي كانت دافعًا إلى البحث في مواطن الجمال ومكامنه في الأسلوب القرآني المعجز، إذ أنّ العلماء قد حاولوا استنباط وجوه بلاغته الفائقة في وصفها كل البلاغات، ليهتدوا إلى التعرّف على النواحي الحسن فيه، وما تفرّد به من خصائص."[1]

هذا وقد كان تفرّد الأسلوب القرآني بخصائص معجزة ميّزته عل سائر الكلام، مما جعل هذا الأسلوب مناط البحث عن تلك الخصائص وقد نحى الاتّجاه الفنّي في دراسة الأسلوب المعجز ناحيتين.

–"بلاغة العبارة: والتي تتمثل في اقتطاع موضع البلاغة، وذلك يكون بعزل الأساليب التي تحملها، لتقضي أنّ إعجاز القرآن يمكن حصر أسبابه في بلاغة العبارة.

– بلاغة النّظم:التي تعتمد على وحدة النّص، والالتحام بين أجزاءه وتقتصر البلاغة في ذلك." [2]

والملاحظ هنا أنّ "هاتين الناحيتين قد امتزجتا في المراحل الأولى من مسيرة الاتّجاه الفنّي، كما نجد ذلك واضحًا من بحث **الجاحظ** الذي كان ممهدًا للكثير من قضايا بلاغة الإعجاز، والذي كشف مواطن الإعجاز هو ما وجده من طعن وتشكيك في أسلوب القرآن."[3]

وفي بحثه حول القرآن نجده "يوجّه المعنى توجيهاً يتلاءم وطبيعة القرآن ونزوله بلسان العرب، وفي ذلك ينطلق من أنّ اللّفظ فيه دلالة على شيء دون شيء، وإذا كان اللّفظ عاماً لم يكن لأحد أن يقصد به إلى شيء يعينه...لأنّ **الله** تبارك و تعالى لا يخص ولا يعمم بالقصد وإنّما الدلالة في بنية الكلام هو الإرادة و القصد." [4]

---

[1] – محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص 213 (بتصرف).

[2] – ينظر، المرجع نفسه، ص 213.

[3] – المرجع نفسه، ص 213 .

[4] – المرجع نفسه، ص 215 (بتصرف).

ومعنى ذلك أنّه "يدفع كل تأويل ينحرف عن بنية الكلام، مع أنّه دعا إلى اعتماد هذه البنية في الفهم والتأويل، إذ نجده في ذلك ينطلق من عربية القرآن المجيد."[1]

وقد رتّب عليها نتائج مهمّة تتجلى في قوله: "ولفضل الفصاحة، وحسن البيان، بعث **الله** I أفضل رسله من العرب، وجعل لسانه عربيًا، وأنزل عليه قرآنًا عربيًا، يقول تعالى:"**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴿١٩٥﴾ "(الشعراء: 195).

إذ لم يخص اللّسان بالبيان ولم يحمد بالبرهان إلا عند وجود الفضل في الكلام، وحسن العبارة عند المنطق، وحلاوة اللّفظ عند السّمع."[2]

والجدير بالذكر هنا أنّ " **الجاحظ** " قد وضع موضعه في الاتّجاه الفنّي في دراسة أسلوب القرآن، من خلال شهادته له بالسّبق مع التنبيه على إعجازه، وتقديم رأيه في هذا الأخير وأنّ الوجه المعجز من بلاغة القرآن هو نظمه.

"ثمّ إنّ دلالة النّظم عند **الجاحظ** مقترنة بدلالة التأليف وقد وجد في اقترانها خروج القرآن عن سائر الكلام قال: ولابد من أن نذكر فيه أقسام تأليف جميع الكلام، وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور، وهو منثور غير مقفى، على مخارج الأشعار والأسجاع وكيف صار نظمه من أعظم البرهان وتأليفه من أكبر الحجج."[3]

والمعنى من ذلك أنّه "يرى وجه الإعجاز في النّظم، وبذلك نراه إمام المذهب القائل بأنّ الإعجاز في نظم القرآن، وهو ما صار مذهبًا غالبًا دفع العلماء إليه دفعًا، ومهّد لعلماء الإعجاز دراسة أسلوب القرآن منهم **الباقلّاني** الذي تبنّى فكرة **الجاحظ** في مباينة أسلوب القرآن لأساليب الكلام عند العرب."[4]

---

[1] – محمد الكواز، مرجع سابق ، ص 215

[2] – المرجع نفسه، ص 215 .

[3] – أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، ت– عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج 1، ك2، ط7، 1998م–1418هـ، ص 383.

[4] – الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 35 (بتصرف).

وزيادة على ما سبق نجد **الرّماني** (386هـ) "من بين العلماء الذين أخذوا بالاتّجاه الفنّي من خلال التقاطه لذلك (النّكت) أي أنّ النقط أو المواضع التي تكمن فيها بلاغة العبارة القرآنية فأقام كتابه عليها المسمى (النّكت في إعجاز القرآن) الذي سبقت الإشارة إليه، وقد قسّم **الرّماني** البلاغة على طبقات: عليا ووسطى ودنيا، وجعل القرآن في الطبقة العليا."[1]

"وتكمن أهمية البحث في بلاغة العبارة لديه في تبيان ذلك التفاوت بينها وبين عبارة البشر بمقارنة ضمنية في الغالب، وبمقارنة ظاهرة في النّادر، حيث نجده ينطلق في ذلك كلّه من مبدأ عام هو أنّ ظهور الإعجاز في الوجوه التي بيّنها، يكون باجتماع أمور يظهر بها للنّفس أنّ الكلام من البلاغة في أعلى طبقة."[2]

وفي باب حديثه عن التفاوت نجده يقارن في باب الإيجاز بين قولهم:" (القتل أنفى للقتل)، وقوله تعالى:" **وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ** ﴿١٧٩﴾ " (البقرة: 179).

وقد أظهر **الرّماني** لنا التفاوت في أربعة أوجه هي:

1- إنّ قوله تعالى أكثر في الفائدة.

2- إنّه أوجز في العبارة.

3- إنّه أبعد من الكلفة بتكرير الجملة.

4- إنّه أحسن تأليفاً بالحروف المتلائمة.

ليخلص في الأخير إلى أنّ قوله تعالى قد صار باجتماع هذه الأمور أبلغ من قول النّاس وأحسن. وهو الأحسن – وهذا أكيد – وإن كان قولهم بليغًا حسنًا." [3]

[1] – محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص 255.

[2] – المرجع نفسه، ص 255.

[3] – أبو الحسن الرّماني، مرجع سابق، ص 77.

هذا وقد شمل الاتّجاه الفنّي على" بلاغة العبارة وبلاغة النّظم كناحيتين أساسيتين فيه، ولعلَّ بلاغة النّظم هي التي تعنى بالنّص، وهو الوحدة المترابطة الأجزاء، ثمّ إنّنا نجد صورة النّظم لدى العلماء الذين مهدوا للإمام **عبد القاهر الجرجاني** لأن يضع نظريته في النّظم، وسنتكلم عنها في بداية حديثنا عن الاتّجاه العقلي في دراسة الأسلوب القرآني المعجز "[1]

[1] – محمد الكوّاز ،مرجع سابق، ص 240.

3- الاتّجــاه العقلــي:

يقول تعالى:"الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾" (يوسف: 1 – 3).

إنّ في الآية الكريمة الأولى"وصف للكتاب بالمبين، أي الظاهر أمره بإعجاز العرب، الذي يوحي لمن تدبّره وتأمّل معانيه أنّه من عند **الله** تعالى. أما في الآية الثانية دعوة للتَعَقُّلِ، والفهم والإحاطة بمعاني القرآن، لكي لا يلتبس على العرب، فلو كان أعجميًا لقالوا عجزنا عن فهمه لأنّه ليس من لغتنا، فجاء عربيًا مبينًا، وفي هذا مدار إدراك إعجاز القرآن على العقل، إذ لا يمكن تبيان إعجازه بالنّظر أو المشاهدة، إنّما بالعقل الذي يميّزه من كلام البشر وهذا راجع إلى الطبيعة العقلية للمعجزة القرآنية. "[1]

ضف إلى ذلك فإنّ "العقل هو الذي يدرك وجوه الإعجاز كلّها كيف ما كانت، وهو بإدراك الوجه البلاغي أجدر وأقدر، فاقترن العقل بإدراك أسرار الأسلوب المعجز، وقد سعى علماء الإعجاز إلى الكشف عن مواضعه ووجوهه بعد تحكيم عقولهم."[2]

وفي هذا يتّضح الاتّجاه العقلي من خلال "تعامل العلماء مع النّص المعجز نفسه بعدما كان أوّل مظاهر هذا الاتّجاه خارجاً عن النّص المعجز، إذ نجد فيه تدليلا على عدم معارضة العرب لأسلوب القرآن مع توفّر الدواعي وقد كان هذا الوجه مستمدًا من العقل وراجعًا إليه، وفي هذا الذي قيل تتبين النقلة من البرهنة على عدم قيام المعارضة إلى البرهنة على إعجاز النّص القرآني."[3]

[1] – محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص 242.
[2] – المرجع نفسه، ص 242 (بتصرف).
[3] – المرجع نفسه، ص 243.

إذ تعدّ هذه النقلة من الأهمية بمكان في علم الإعجاز، وخاصة منه الوجه البلاغي، لما فيه من سعة أفق وامتداد، تحوي ما أضافه العلماء في تتابعهم على دراسة أسلوب القرآن العظيم، ولعلَّ أهم من ساق تلك النقلة النّوعية هو **عبد القاهر الجرجاني**، وهو يردّ على من خالف رأيه في وجه الإعجاز، ويقول في هذا الشأن" إنّا إذا سقنا دليل الإعجاز، فقلنا لولا أنّهم حين سمعوا القرآن وحين تحدّوا إلى معارضته، سمعوا كلامًا لم يسمعوا قط مثله، وأنّهم رازوا أنفسهم، فأحسّوا بالعجز عن أن يأتوا بما يوازيه أو يدانيه..."[1]

ويواصل حديثه قائلا:" فقيل لنا: قد سمعنا ما قلتم فخبّرونا عنهم عمّاذا عجزوا ؟ أعن معان من دقة معانيه وحسنها وصحتها في العقول أم عن ألفاظ مثل ألفاظه ؟ فإن قلتم عن الألفاظ، فماذا أعجزهم من اللّفظ ؟ فقلنا: أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، ومن خصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها."[2]

وفي هذا السياق نجد **الجرجاني** "يلفت النّظر إلى الإعجاز وهو داخل النّص القرآني بعد ما كان قد وجد لدى العلماء خارجًا عن النّص، ثمّ إنّنا نجده لا ينفرد بهذه الالتفاتة فحسب بل سبقت بجهود قيّمة أعانته على شقّ طريق النّظم على أسس عقلية لم تكن عند سابقيه."[3]

وبناءًا عليه نجد **الخطّابي** قد "اعترض على أهل النّظر تفسير بلاغة القرآن، حيث لم يرضى فيها بالتسليم على ضرب من غلبة الظنّ دون التحقيق، والبحث بإحاطة العلم عن باطن العلّة، إذ ينوّه إلى اتّخاذ العقل وسيلة للوصول إلى بواطن العلّة، لأنّ الكشف عن وجه البلاغة القرآنية لا يكون بالذوق وحده بل بإعمال العقل والتدبّر."[4]

---

[1] – عبد القاهر الجرجاني، مرجع سابق، ص 38.

[2] – المرجع نفسه، ص 39.

[3] – محمد الكوّاز، مرجع سابق، ص 244.

[4] – المرجع نفسه، ص 244.

وتكمن الأهمية وراء ما قدّمه من دراسة في أنّه أوضح فكرة النّظم القرآني وفصل أمر تحليله إلى عناصر متفاعلة يقوم بها الإعجاز، حيث يعدّ بحثه مرحلة جديدة في الدراسة البيانية لأسلوب القرآن.

ونخلص في آخر هذا الفصل إلى أن الأسلوب القرآني قد اتسم بسمات وخصائص تفرد بها على غيره من الأساليب الأخرى ،إضافة إلى كونه قد صار معجزا بهذا الإنفراد.

المبحث الأول:

الباقلّاني والثقافة النّقدية والبلاغية في عصره

1- حياة الباقلّاني الثقافية والفكرية:

1-1. اسمه ونسبه:

هو "**محمد بن الطيّب بن محمد بن جعفر بن القاسم، أبو بكر القاضي** المعروف **بالباقلّاني**، أو ابن **الباقلّاني**.

و**الباقلّاني** نسبة إلى الباقلّاء وبيعه، كالنسبة إلى صنعاء صنعاني، وكان والده يشتغل بالباقلّاء وبيعها فنسب إليها. أما القاضي: فلقّب به لأنّه تولّى القضاء لعضد الدولة **البويهيّ** وكان يعتبر رئيس القضاة، بيده أمر تعيينهم وتوليهم."[1]

"ولد الإمام **الباقلّاني** بالبصرة سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة للهجرة (338هـ)، ونشأ فيها وأخذ عن علمائها كثيرًا من العلوم الدّينية، فتثقّف بذلك ثقافة عربية إسلامية منوّعة، ثمّ رحل إلى بغداد ونهل منها علمًا غزيرًا فأقام فيها حتى توفاه **الله** تعالى سنة (403هـ)."[2]

1-2. مذهبـــه:

أما في "الاعتقاد فقد كان **أبو بكر الباقلّاني** سنيًّا علمًا في مذهب الإمام **أبي الحسن الأشعري**، رحمه **الله** تعالى وكان من أبرز الأئمة الذين ساهموا في انتشار هذا المذهب وتثبيت قواعده والدّفاع عنه خاصة في وجه المعتزلة وبعض الفرق الضالة ممّن حاولوا النّيل من عقيدة أهل السنّة."[3]

---

[1]- أبو بكر الباقلّاني، الانتصار للقرآن، تحقيق محمد القضاة، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 2001م - 1422هـ، م1، ص 17- 18.

[2]- المرجع نفسه، ص 18.

[3]- المرجع نفسه، ص 18.

ثمّ إنّ **الباقلّاني** "قد اندفع إلى نصرة هذا المذهب بما عرف عنه من قوّة الحجّة، وبراعة المحاورة وسرعة البديهة وطلاقة اللّسان، وغزارة البيان فكان الإمام منافحًا عن دين **الله** بما أوتي من قوة وبرهان."[1]

وكان "المذهب المالكي هو مذهبه الفقهي، كما نصّ على ذلك أكثر علماء عصره ومن كتب عنه، ثمّ إنّ القاضي **عيّاض** قد اعتبره إمام المالكيين في زمانه وعالم عصره المرجوع إليه فيما أشكل على غيره."[2]

1-3. شيـوخه:

لقد أتيح للإمام **الباقلّاني** "أن يتتلمذ على يد طائفة من العلماء الذين جمعوا بين العلم والعمل واشتهروا بالورع والتّقوى."[3]

"فأخذ عنهم جل المعارف والعلوم لا سيما في مجال العقيدة والفقه وعلم الكلام، وفي هذا الصدد سنذكر أبرز هؤلاء العلماء ممّن أخذ عنهم الإمام علمه وثقافته، حيث كان لهم كبير الأثر في شخصيته ونضوجه العلمي."[4] ومن هؤلاء:

1-"**أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مجاهد الطائي**: درس عليه **الباقلّاني** الأصول والمنطق والفقه، وكان حافظًا ضابطًا ومتقنًا، توفي بعد سنة (360هـ)."[5]

2-"**أبو الحسن الباهلي البصري**: صاحب **أبي الحسن الأشعري** وكان الباهلي أعرف العلماء بمذهب أبي الحسن، وأشدّهم فقها له وأقواهم حجة بالدفاع عنه، وقد تلقى **الباقلّاني** عليه أصول المذهب وقواعده."[6]

---

[1]- عبد العزيز عتّيق، في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ص 210-211.

[2] - الباقلّاني، الانتصار للقرآن، مرجع سابق، ص19.

[3]- أبو بكر الباقلّاني، إعجاز القرآن، تحقيق، أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط 3 ذخائر العرب، 12، ص 17-18.

[4]- الباقلّاني، الانتصار للقرآن، المرجع نفسه، ص19.

[5]- المرجع نفسه، ص19.

[6]- ينظر، الباقلّاني، إعجاز القرآن، المرجع نفسه، ص19.

3-"**أبو بكر محمد بن عبد الله الأبهري**: شيخ المالكية في عصره وقد أخذ عنه **الباقلاني** ونهل من علمه الغزير في الفقه، وصحبه الإمام طويلا توفي سنة (375هـ).

4-**أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي**: ونسبته إلى قطعية الدقيق في بغداد، وهو راوية مسند الإمام **أحمد**، وشيخ **الباقلّاني** في الحديث، توفي سنة (368هـ)."[1]

5- "**أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي**: من تلامذة **أبي الحسن الأشعري**، تتلمذ على يديه الإمام **الباقلّاني** آخذا عنه الأصول، توفي سنة (371 هـ).

6- **أبو أحمد الحسن ابن عبد الله العسكري**: وقد أخذ عنه الإمام **أبو بكر** مسائل البلاغة والأدب بصفته إمامًا في الحفظ والأدب وصاحب أخبار ونوادر، توفي سنة (382هـ)."[2]

7- "**أبو محمد عبد الله بن أبي القيرواني**: من كبار أئمة الفقه المالكي، كان يعرف بمالك الصغير حيث أنّه جمع المذهب وشرح أقوال الإمام **مالك**، وقد أخذ عنه الكثير من العلماء ومنهم **الباقلّاني** الّذي أخذ عنه الفقه وكانت وفاته سنة (386هـ).

8- **محمد بن أحمد بن إسماعيل**: كان عجيبًا في الكلام على الخواطر وحسن الوعظ، فكتب النّاس حكمه وجمعوا كلامه، توفي سنة (387هـ)."[3]

9- "**أبو الحسن الأشعري**: شيخ **الباقلّاني** الروحي، فهو من متكلّمي أهل السنّة ناهض المعتزلة وأسّس مذهباً وسطاً بين أهل العقل وأهل النقل، فكان نصيرًا لرأي أهل السنّة. أما **الباقلّاني** فكان يستمتع بفهم كلام **أبي الحسن**، وكانت أفضل أحواله حينما يقرأ في كتبه."[4]

---

[1]- الباقلّاني، الانتصار للقرآن، مرجع سابق، ص20.

[2]- المرجع نفسه، ص 20.

[3]- المرجع نفسه، ص 20.

[4]- سميرة فرحات، الباقلّاني حياته وآثاره، رسالة ماجستير، إ. وداد القاضي، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1980م، ص 18.

1- 4. ثقـافته وفكره:

يعدّ **الباقلّاني** "من علماء القرن الرابع الهجري، فهو من أهم أعلام المتكلّمين على مذهب الأشاعرة، عمل على نصرة مذهبه سالكاً طريق شيخه **أبي الحسن الأشعري**، ثمّ إنّه قد وهب حياته وعلمه للدفاع عن عقيدة السلف، والردّ على المخالفين والملحدين من الجهمية والمعتزلة والخوارج وغيره."[1]

فقد "استدعاه عضد الدولة **ابن بويه** إلى شيراز حاضرة ملكه ليمثّل أهل السنّة في مجلسه الذي كان يحوي الكثير من العلماء على اختلاف مذاهبهم."[2]

إذ "أنّ عضد الدولة قد أفرد في داره لأهل الخصوص والحكماء والفلاسفة موضعا يقترب من مجلسه الذي لاحظ خلوّه من أهل السنّة فقال: هذا مجلس عامر بالعلماء، إلا أني لا أرى فيه واحدًا من أهل الثبات الحديث، أما لهؤلاء المثبتة من ناصر؟."[3]

"فكتب إلى **الباقلّاني** وهو لا يزال تلميذًا لدى **أبي الحسن الباهلي**، فقدم إليه من البصرة وهناك ناظر كبار المعتزلة فظهر عليهم بسلامة منطقه وسعة علمه، ووضوح بيانه، مما جعل عضد الدولة يعجب به فاستبقاه عنده ودفع إليه ابنه صمصام الدولة ليعلّمه مذهب أهل السنّة فكان الذي أراد."[4]

وقد "كانت هذه الدعوة فرصة من الفرص التي سنحت للإمام لنشر علمه والدفاع عن مذهبه ودينه. والنّاظر في مساره العلمي يلاحظ أنّه وقف حياته على أمرين ملكا عليه أقطار نفسه وهما: التدريس والتأليف."[5]

---

[1]- سحر الحسبان، توظيف البحث البلاغي في إعجاز القرآن بين الرّماني والباقلّاني، رسالة ماجستير، إ.علي البواب، ج آل البيت، 2005م - 2006م، ص 86.

[2]- عبد العزيز عتّيق، مرجع سابق، ص211 .

[3]- ينظر، الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 20.

[4]- ينظر، عبد العزيز عتّيق، المرجع نفسه، ص 211 .

[5]- ينظر، سحر الحسبان، المرجع نفسه، ص 86.

أ."أمّا التّدريس:

فقد اجتمعت له كل أدواته ولم يصرفه عنه صارف، حيث تتلمذ على يديه العديد من علماء البصرة وبغداد، وكان أكثر تلاميذه من العراق وخراسان، وقد تخرّج على يديه عشرات العلماء الأعلام."[1]

ثمّ إنّ **الباقلاّني** لا يزال "يعقد حلقات العلم أينما استقر في بغداد في جامع المنصور، وفي شيراز في بلاط عضد الدولة، وكان طلاّب العلم يقصدونه من مختلف أنحاء الخلافة الإسلامية ومن مختلف الفئات، ينهلون من معينه ويأخذون من علمه الغزير ومن جملة تلاميذه نذكر:

1- **أبو عمران موسى بن عيسى الفاسي**: وهو فقيه أهل القيروان، مالكي وكان تفقّهه بالمغرب والأندلس، وقد أخذ عن الإمام علم الأصول، توفي سنة (437هـ)."[2]

2-" **أبو ذر الهروي**: أخذ عن **الباقلاّني** علم الكلام، وهو من الفقهاء المالكية، محدث الحرم المعروف بدينه وورعه وعلمه، ومنه أخذ المغاربة المذهب الأشعري، كانت وفاته سنة (434هـ).

3- **القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي**: وهو الإمام الكبير صاحب التلقين، والإشراف وغيرهما وقد أخذ عن **الباقلاّني** الفقه وعلم الكلام، توفي سنة(422هـ).

4- **أبو الحسن عيسى السكري الشاعر**: وقد أخذ عن **الباقلاّني** علم الكلام هو الآخر ثمّ إنّه كان حافظًا بالقراءات أديبًا، وقد امتدح الإمام بقصيدة عظيمة "[3] كان مطلعها:

فكَأنَّهـــا من حيث قابلَتهـــــــــــا ** شيـــــمُ الإمام محمد بن الطيـــّـــبِ**

اليعْرُبي فصـــــــاحـة وبلاغـــــــة ** والأشعـــــري إذا اعْتزى للمذهـــبِ**

قـاضٍ إذا التبَس القضـاءُ على الحجى ** كشفــــت له الآراء كل مغـــيـــــبِ."[4]**

---

[1]- ينظر، عبد العزيز عتّيق، مرجع سابق، ص 212 .

[2]- سميرة فرحات، مرجع سابق، ص 22 - 24.

[3]- الباقلاّني، الانتصار للقرآن، مرجع سابق، ص 21.

[4]- سميرة فرحات، المرجع نفسه، ص 15.

5- "**الحسين بن حاتم الأزدي**: وهو الذي بعثه الإمام **الباقلّاني** إلى دمشق ليوضّح الحق ويبيّن مذهب أهل السنّة وقد نهل من علم **القاضي** أصول الفقه.

6-" القاضي **عبد الله بن محمد الأصبهاني**: المعروف بابن اللبّان، المتوفى سنة (446هـ)، وقد كان من كبار أهل العلم أخذ عن **الباقلّاني** الأصلين." [1]

7- "أمّا **محمد بن الحسين بن موسى النيسابوري أبو عبد الرحمان السلمي**: فقد تتلمذ لدى الإمام في شيراز وقرأ عليه كتاب (اللّمع) **لأبي الحسن الأشعري**.

8- **محمود بن الحسين الطبري: أبو حاتم** المعروف **بالقزويني**، أخذ عن الإمام **أبي الطيب** أصول الفقه."[2]

ومن بين طلّاب العلم "الذين تتلمذوا على يد **الباقلّاني** صمصام الدولة ابن عضد الدولة **البويهي** أدّبه القاضي وعلّمه شتى العلوم. اغتيل بعد وفاة والده سنة (388هـ)."[3]

ب. أمّـا التّأليـف:

فقد أسهم فيه الإمام بنصيب موفور، "وكان لورعه وتقواه أثر في غزارة مؤلّفاته، فكان من عادته إذا صلّى العشاء وقضى ورده كتب خمس وثلاثين ورقة، وكان إذا صلّى الفجر أعطى بعض أصحابه ما صنّفه ليلته ليقرأه عليه مع زيادة ما يراه مناسبًا فيه، وقد تسنّى **للباقلّاني** أن يؤلّف ما يقارب الخمسين كتابًا لم يصل منها إلى زماننا إلا عدد يسير."[4]

وقد "امتازت مؤلّفات الإمام بطول النّفس وجاءت في معظمها للدّفاع عن الدّين والتصدّي لردّ شبهات الفرق كالرافضة وأهل البدع والضلالات، كما أنّها اتّسمت بالعمق والقوّة. وبما أنّ **الباقلّاني**

[1]- الباقلّاني، الانتصار للقرآن، مرجع سابق، ص 21.
[2]- المرجع نفسه، ص 21 - 22.
[3]- المرجع نفسه، ص 22.
[4]- ينظر، الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص37.

رحمه **الله** قد امتاز عن غيره من المؤلّفين بالأصالة في كتاباته، فهو لا ينقل عن غيره في غالب الأحيان."[1]

ولعلَّ من أهم ما تركه الإمام **الباقلّاني** من آثار وتآليف ما يلي:

1. **"كتاب التمهيد:** وهو من أهم الكتب الكلامية التي تعلّق بها أهل السنّة تعلّقا شديدًا، فكان أجمع كتاب يبصرهم بمسائل الخلاف بينهم وبين مخالفيهم في الرأي والعقيدة، مع إرشادهم إلى أقوى الأدلّة الجدلية وأحكم البراهين العقلية، التي تظهر رجاحة مذهبهم على ما عداه من المذاهب الأخرى، وقد ألّف كتابه هذا في أثناء مقامه بشيراز للأمير **أبي كاليجار المرزبان،** ابن عضد الدولة وولي عهده."[2]
2. **"كتاب هداية المسترشدين والمقنع في معرفة أصول الدّين:** وهو مجلد كبير مخطوط وجدت نسخة منه في مكتبة الأزهر برقم (342) توحيد، يشتمل على أحد عشر جزءًا."[3]
3. **"كتاب الانتصار لصحة نقل القرآن والردّ على من نحله الفساد بزيادة أو نقصان:** وقد ذكر فيه **الباقلّاني** جميع مطاعن الملحدة وكل من خالف عن الملّة على القرآن، مع كشفه عن فساد توهّمهم وتمويههم، وقد وجدت نسخة من الجزء الأوّل للكتاب في مكتبة قرة **مصطفى باشا** بإسطنبول."[4]
4. **"كتاب الفرق بين معجزات النبيّين وكرامات الصالحين:** مطبوع بتحقيق **ريتشرد مكارتي** سنة (1958م) ويوجد قسم منه في مكتبة تبنجن بألمانيا."[5]

---

[1]- الباقلّاني، الانتصار للقرآن، مرجع سابق، ص 22.

[2]- الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 37.

[3]- الباقلّاني، الانتصار للقرآن، المرجع نفسه، ص 23.

[4]- ينظر، الباقلّاني، إعجاز القرآن، المرجع نفسه ، ص43.

[5]- الباقلّاني، الانتصار للقرآن، المرجع نفسه، ص 22.

5. "**كتاب مناقب الأئمة ونقض المطاعن على سلف الأمّة:** وتوجد نسخة من الجزء الثاني له في الخزانة الظاهرية بدمشق."[1]

6. "**كتاب الإبانة عن إبطال أهل الكفر والضلالة.**

7. **كتاب كيفية الاستشهاد في الردّ على أهل الجحد والعناد.**

8. **كتاب الإمامة الكبير.**

9. **كتاب الأصول الكبير في الفقه.**

10. **كتاب مسائل الأصول.**

11. **كتاب أمالي إجماع أهل المدينة.**

12. **كتاب الردّ على المتناسخين.**

13. **كتاب الردّ على المعتزلة.**

14. **كتاب المقدّمات في أصول الديانات.**

15. **كتاب التقريب والإرشاد في الأصول.**

16. **كتاب المقنع في أصول الفقه.**

17. **كتاب دقائق الإسلام والرّد على من خالف الحق من الأوائل وممتحني الإسلام.**

18. **كتاب مختصر التقريب والإرشاد الأصغر.**

19. **كتاب كشف الأسرار وهتك الأستار في الرّد على الباطنية.**

20. **شرح كتاب (اللّمع) للإمام أبي الحسن الشعري رحمه الله تعالى."**[2]

[1]- الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 42.

[2]- الباقلّاني، الانتصار للقرآن، مرجع سابق، ص 23 - 24 .

21. **كتاب إعجاز القرآن:** الذي يعدّ "أول كتاب يحمل عنوان الإعجاز القرآني ومضمونه، وقد طبع عدّة طبعات في مصر على هامش كتاب الإتقان وجاء منفردًا بتحقيق **سيّد صقر** رحمه **الله** تعالى"[1]، ولنا حديث بخصوص هذا المؤلّف في المبحث الثاني.

والملاحظ من عناوين هذه المصنّفات أنّ **الباقلّاني** قد وهب حياته للعلم، مسخّرًا إيّاه للدفاع عن الدّين والرسالة الإسلامية طارقًا بذلك كل أبواب العلوم الدّينية من فقه وأصول وإعجاز منتصرًا للقرآن في ردّه القوي على أهل الضلال والكفر والطعن والعناد.

ثمّ إنّ هذه "التآليف وغيرها تنسب كلها للإمام وقد أوردها القاضي **عيّاض** في ترجمته للقاضي **أبي بكر** رحمهما **الله** تعالى، في كتابه (ترتيب المدارك) (2: 601). وتعدّ هذه الترجمة من أوفى ما كتب عن **الباقلّاني** من التراجم."[2]

وانطلاقًا ممّا سبق نجد **الباقلّاني** قد أخذ من كل علم بنصيب، فلم يكن اهتمامه منصبًّا على التدريس والتأليف فحسب بل إنّه قد سلك في حياته سبلا أخرى غير هاذين الأمرين رفعت من قدره وشأنه ليصبح الإمام العالم بجدارة واستحقاق، فكان **قاضيًا، ومالكيًا، ومتكلّمًا**.

* الباقلّاني قاضيًا:

"لقد ذكر القاضي **عيّاض** في (ترتيب المدارك) أنّ **الباقلّاني** قد تولّى القضاء بالثغر، وهي بلدة حدودية تقع في دار الإسلام على حدود البحر، وقد تولّى القضاء غير مرّة وفي غير مكان في الدولة الإسلامية، إذ لم يحدد التاريخ الذي كان فيه الإمام قاضيًا، غير أنّ لقب القاضي قد نعته به أنصاره وخصومه، وجرى عليه فلازم اسمه."[3]

[1]- الباقلّاني، الانتصار للقرآن، مرجع سابق، ص 23.

[2]- المرجع نفسه، ص 25.

[3]- سميرة فرحات، مرجع سابق، ص30 (بتصرف).

* الباقلّاني مالكيًا:

لقد "اختلف في مذهب **الباقلّاني** أمالكي مذهبه أم شافعي لينسبه بعض المترجمين إلى المذهب المالكي، بينما نسبه آخرون إلى الشافعي، وهناك فئة ثالثة لم تؤكّد على شافعيته ولا على مالكيته، فتركت بذلك مذهبه الفقهي واتّجهت إلى تحديد مذهبه الكلامي، فنُعت من قِبلها (بالمتكلم على المذهب الأشعري)." [1]

ورغم هذا الاختلاف إلا أنّ القاضي **عيّاض** "قد أورد له ترجمة في (ترتيب المدارك) واعتبره مالكي المذهب. وفعل ذات الشيء **ابن فرحون** في (الديباج المذهّب).

كما أثبت **تاج الدّين السبتي–** لنفي الشك عن مذهب **الباقلّاني–** مالكيته مع إثبات شافعية شيخه **أبي الحسن الأشعري**. حيث يقول: كان **الأشعري** شافعيًا،...وكان القاضي **الباقلّاني** مالكيًا."[2]

وقد صنّف **الباقلّاني** في "الطبقة الثانية للأشعرية، ويعدّ من الذين حاولوا الاستقلال في أحكامهم الفقهية فيجعل الحكم والصلاح للرأي الأنسب، ومن اجتهاده في الفقه ما أفتى به في مسألة هل على الكافر نعمة ؟ فوافق **أبا حنيفة** في ذهابه إلى أنّ على الكافر نعمة. ليترك بذلك **الأشعري** في فتواه القائلة بأنّه ليس على الكافر نعمة....وبهذا يكون الإمام قد استقل بفتواه ولم يكن الإتّباع في المسألة لزامًا عليه."[3]

* البـــاقلّاني متكلّمًا:

مما لا شك فيه أنّ "تلك المسائل الكلامية التي أثيرت في مجلس عضد الدولة، وكذا في بلاط ملك الرّوح عندما قدم إليه **الباقلّاني** سفيرًا وممثلا لبلاده سنة (371 هـ)، ومبعوثًا من قبل عضد الدولة في

[1]- سميرة فرحات، مرجع سابق، ص30 .

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 31.

[3]- المرجع نفسه، ص 32.

جواب الرسالة الواردة من الملك كانت محط أنظار الرّواة، فتناقلوها لما فيها من أهمية."[1]

ثمّ إنّ النّاظر في هذه المسائل يرى فيها "دلالة واضحة على طريقة **الباقلّاني** في الكلام، ومذهبه فيه وذلك لما فيها من تعدّد وتشعّب فمن مسألة التوحيد والصفات، إلى مسألة الرؤية، ثمّ مسألة الإيمان بالمعجزات كانشقاق القمر وظهوره على محمد ρ."[2]

1-5. وفـــــاتـــه:

لقد "حدّث **الخطيب البغدادي** عن **علي بن أبى علي المعدل**، قال: أنّ القاضي **أبو بكر محمد بن الطيب**، قد مات في يوم السبت لسبع يقين من ذي الحجة سنة ثلاث وأربعمائة. وقد قال **أبو الحجاج**: توفي القاضي **الباقلّاني** سنة أربع وأربعمائة."[3]

وفي رواية أخرى "يؤكّد **ابن عساكر** أنّ وفاة القاضي صادفت يوم السبت الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة."[4]

وقد "دفن الإمام في داره، ثم نقل ودفن في مقبرة باب حرب في تربة بقرب قبر الإمام **أحمد بن حنبل**، وقد حضر **أبو الفضل التميمي الحنبلي** جنازته، وقال فيها مناديًا: هذا ناصر السنّة والدّين هذا إمام المسلمين، هذا الذي كان يذبّ عن الشريعة ألسنة المخالفين، هذا الذي صنّف سبعين ألف ورقة ردًّا على الملحدين."[5]

هذا وقد "رثاه أحد الشعراء قائلا:

انظر إلى جَبَل تمشي الرجالُ بــه ** وانظر إلى القَبرِ ما يَحوي من الصَلَفِ.**

وانظر إلى صارِمِ الإسلامِ مُعتمــدًا ** وانظر إلى درّةِ الإســلامِ في الصَّــدَفِ."[6]**

---

[1] - سميرة فرحات، مرجع سابق، ص 32.

[2] - ينظر، المرجع نفسه، ص 32.

[3] - الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 65 - 66.

[4] - ينظر، سميرة فرحات، المرجع نفسه، ص 27.

[5] - الباقلّاني، إعجاز القرآن، المرجع نفسه ، ص 66.

[6] - عبد العزيز عتّيق، مرجع سابق، ص 214.

2- مكانة الباقلّاني وآراء العلماء فيه:

لقد كاد العديد من المؤرّخين أن يجمعوا على "كون **الباقلّاني** رحمه **الله** تعالى المجدّد للدّين على رأس المائة الرابعة وذلك لفضله وعلمه وما بذله من جهود مضنية في خدمة مذهب أهل السنّة والجماعة، مدافعًا عن دين **الله** عز وجل."[1]

فقد روى "ابن عساكر أنّه سمع الشيخ الإمام **أبا الحسن علي** بن المسلم يقول - على كرسيّه بجامع دمشق - ذاكرًا حديث **أبي علقمة:** كان على رأس المائة الأولى: **عمر بن عبد العزيز،** وكان على رأس المائة الثانية: **محمد ابن إدريس الشافعي،** وكان على رأس المائة الثالثة: **الأشعري** وكان على رأس المائة الرابعة: **ابن الباقلّاني.**"[2]

كما جاء في حديث رسول **الله**ρ:" إنّ **الله** يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة سنة، من يجدّد لها دينها."[3]

وعن الإمام **الباقلّاني** يقول **اليافعي** في كتابه (مرآة الجنان):" هو سيف السنّة، وناصر الملّة الإمام الكبير...لسان المتكلّمين، وموضّح البراهين، وقامع المبتدعين، وقاطع المبطلين، الأصولي المتكلم، والأشعري المالكي المجدد على رأس المائة الرابعة."[4]

أما عن لسانه وبيانه يقول **الخطيب البغدادي:**" كان **الباقلّاني** ثقة، وأمّا الكلام فكان أعرف النّاس به وأحسنهم خاطرًا وأجودهم لسانًا، وأوضحهم بيانًا، وأصحّهم عبارة."[5]

وعلى هذا فقد كان للقاضي **الباقلّاني** مكانة عالية في العلم وسعة الاطلاع، فهو الذي كان يؤلّف ويكتب أصالة دون الرجوع إلى كتب غيره، وفي ذلك نرى **"علي بن محمد بن الحربي المالكي**

---

[1]- الباقلّاني، الانتصار للقرآن، مرجع سابق، ص 25.

[2]- الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 50.

[3]- المرجع نفسه، ص50.

[4]- الباقلّاني، الانتصار للقرآن، المرجع نفسه ، ص 26.

[5]- الباقلّاني، إعجاز القرآن، المرجع نفسه ، ص 50.

يقول عنه:كان القاضي **أبو بكر** يهمّ بأن يختصر ما يصنّفه فلا يقدر على ذلك لسعة علمه وكثرة حفظه وما صنّف أحد خلافًا إلا احتاج أن يطالع كتب المخالفين غير القاضي، فإنّ جميع ما كان يذكر خلاف الناس فيه صنفه من حفظه."[1]

هذا وقد ذكره القاضي **عيّاض** في كتابه (ترتيب المدارك وتقريب المسالك) قائلا:" ومن أهل العراق والمشرق: **أبو بكر محمد ابن الطيّب بن محمد** القاضي المعروف **بابن الباقلّاني**، الملقّب بشيخ السنّة، ولسان الأمّة، المتكلم على مذهب المثبتة وأهل الحديث وطريقة الأشعري."[2]

والملاحظ من هذا أنّ **الباقلّاني** ربما كان هو العالم الوحيد الذي كثرت ألقابه فمن لسان الأمّة وشيخ السنّة، إلى صارم الإسلام ودرّة الإسلام.

أما **ابن خلّكان** فيقول عنه هو الآخر:" القاضي **أبو بكر**:..المعروف **بالباقلّاني**، المتكلّم المشهور...صنّف التصانيف الكثيرة في علم الكلام وغيره...انتهت إليه الرياسة في مذهبه. ويضيف مادحًا إيّاه: وكان موصوفًا بجودة الاستنباط، وسرعة الجواب وسمع الحديث، وكان كثير التطويل في المناظرة ممّا يدل على علمه الغزير وثقافته وفكره الواسع."[3]

وقد لقّبه **الذهبي** في (سير أعلام النبلاء):" بالإمام العلامة أوحد المتكلّمين...كان يضرب به المثل بفهمه، وكان بحق إمامًا بارعًا، صنّف في الردّ على المعتزلة والرافضة منتصرًا لطريقة شيخه **أبي الحسن**."[4]

وفي ذات السّياق ومع ما كان عليه الإمام من الرّسوخ في علم الكلام والمناظرات، إلا أنّه اتّسم بقوة الورع والتقى، وفي ذلك نجد الإمام **أبو حاتم القزويني** يقول:" إنّما كان يضمره القاضي **أبو بكر الأشعري** رضي **الله** عنه من الورع والديانة والزهد والصيانة أضعاف ما كان يظهره، فقيل له في ذلك،

[1]- الباقلّاني، الانتصار للقرآن، مرجع سابق، ص 27.
[2]- ينظر، الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 50.
[3]- المرجع نفسه، ص 51.
[4]- ينظر، المرجع نفسه، ص 51.

فقال: إنّما أظهر ما أظهره غيظا لليهود والنصارى والمعتزلة والرافضة لألّا يستحقروا علماء الحق والدّين."[1]

هذا ويقول **أبو عبد الله الصيرفي** في نفس الشّأن:"كان صلاح القاضي أكثر من علمه، وما نفع **الله** هذه الأمة بكتبه، وبثّها فيهم إلا بحسن نيّته واحتسابه بذلك، وكان يدرس نهاره وأكثر ليله."[2]

ثمّ إنّه من غير الممكن استيفاء كل ما قيل عن الإمام **الباقلّاني**، وذلك لأنّ الثناء عليه ومدحه والاعتراف بعلمه نجده عند جل العلماء من الذين عاصروه وعرفوه، أو من الذين لم يعرفوا عنه سوى آثاره وما تركه من إرث تفخر به الأجيال بعده وتنهل من فيضه الفكري والدّيني، حيث اقتصرنا الحديث بما جاء في أقوال هؤلاء العلماء، لنصل في النهاية إلى أنّ القاضي **أبو بكر** كان علّامة ومتكلمًا وفقيهًا له من المكانة الراقية ما يجعله بحق درّة الإسلام ولسان الأمة والمجدد للدّين الحنيف.

[1]- ينظر، الباقلّاني، الانتصار للقرآن، مرجع سابق، ص 26 – 27.

[2]- الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 52.

3- قضايا البلاغة في عصر البـاقلّانـي.

لقد نزل القرآن الكريم على قوم كانت الفصاحة والبلاغة صنعتهم التي اشتهروا بها، فكان حجة بلاغية كبرى ومعجزة عظمى أوقفت العرب أمامه مبهورين، لا يجدون لتأثيره ردّا، "وقد شغل النّاس بالقرآن بعد انتشار الإسلام فتدارسوه وسعوا إلى إيضاح معانيه، وللتّحدث عن ألفاظه وتراكيبه. ولعلَّ البلاغة كانت من العلوم التي أولوها عناية كبيرة وجعلوها أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفّظ، لأنّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلَّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما أخصّه **الله** تعالى به من حسن التأليف وبراعة التركيب."[1]

لقد كان للقرآن "تأثيره الواضح في الدراسات البلاغية والنّقدية وكانت آياته البيّنات الشاهد البلاغي الرفيع كما كان ما فيها من روعة وجمال تأثير مدعاة إلى التأليف في غريبه ومعانيه وأسراره وإعجازه."[2]

وقد كان "لمسألة الإعجاز أثر كبير في تطوّر البلاغة والنّقد، وكان المتكلّمون أول من بحثوا في إعجاز القرآن وبلاغته. ولعلّ الإمام **الباقلّاني** يعدّ واحدًا من هؤلاء فهو من أبرز علماء الكلام وشخصية من شخصيات الفكر الإسلامي في القرن الرابع الهجري."[3] الذي جاء ولا تزال قضية الإعجاز تدفع العلماء إلى التأليف في بلاغة القرآن للوصول إلى تعليل وجه الإعجاز البلاغي، ليدرك النّاس كيف بلغ القرآن حد الإعجاز. و قد أخذوا على عاتقهم مهمة خدمة القرآن و الدفاع عن الإسلام و الرد على خصومه ومعارضيه.

ثمّ إنّ العلماء الذين عاصروا **الباقلّاني** قد استفادوا من جهود السابقين خاصة في الدفاع عن النّظم والبلاغة في القرآن التي فاقت سائر البلاغات.

---

[1]- ينظر، أحمد مطلوب اتجاهات النقد الأدبي (في القرن الرابع للهجرة)، وكالة المطبوعات الكويت، ط 1- 1973م، بيروت.ص 119- 120- 121 .

[2]- المرجع نفسه، ص 121 (بتصرف).

[3]- المرجع نفسه، ص 121 (بتصرف).

أما البلاغة فهي "معرفة الفصل من الوصل وهي أن تصيب ولا تخطأ، وتسرع ولا تبطئ وهي اختيار الكلام وتصحيح الأقسام، وفي هذا يقول **إبراهيم بن محمد**: يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام النّاطق ولا النّاطق من سوء فهم السّامع. وقد قال **سهل بن هارون** الكاتب:" العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والبيان ترجمان العلم."[1]

وفي هذا السياق يقول الخطيب **القزويني**:" وللبلاغة طرفان: أعلى إليه تنتهي، وهو حد الإعجاز وما يقرب منه وأسفل منه تبتدئ، وهو ما إذا غُيِّر الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات وإن كان صحيح الإعراب."[2]

" ولقد قام علم البلاغة ملازمًا لعلم الإعجاز القرآني فتاريخها مرتبط بتاريخه، وبما أنّ الجانب البلاغي في القرآن الكريم هو أبرز وجوه إعجازه، اهتم علماء القرن الرابع الهجري بالبحث في إبراز هذه الوجوه الإعجازية وتقصّي بلاغة القرآن وتجلياتها، وهذا من خلال ما وضعوه من كتب عالجت هذه القضية، ولعلَّ **ابن يزيد الواسطي** هو أوّل من ألّف كتابًا في المسألة سمّاه (إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه) وكان ذلك في أوائل القرن الرابع للهجرة."[3]

[1]- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982م - 1402هـ، ص 59 - 60 - 61.

[2]- جيلالي أمينة حورية، الإعجاز البلاغي في آيات الخوف والرجاء سورة التوبة نموذجا، بإشراف قدور المهاجي، 2013م- 2014م، ص 78.

[3]- أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 124.

و فيما سيأتي نذكر أهم القضايا البلاغية التي شهدها عصر الباقلاني و كان أولها:

3-1 قضية الإعجاز:

التي انصب عليها اهتمام علماء القرن الرابع الهجري، ولعلَّ من أهم الأسماء الذين عاصروا الإمام **الباقلّاني**، وألّفوا في قضية الإعجاز القرآني خلال هذا القرن هم: **الرّماني، الخطّابي، والقاضي عبد الجبار**.

أ- أبو الحسن الرّماني(386هـ).

اسمه **أبو الحسن علي ابن عبد الله الرّماني**، النحوي المتكلم أحد الأئمة المشاهير، لقب **بالرّماني** نسبة إلى الرمان وبيعه، أو إلى قصر الرمان في العراق، ولد سنة (296هـ) ببغداد وتوفي بها، أخذ علوم اللّغة والأدب عن **ابن السراج، وابن دريد، والزجّاج** وكان **أبو بكر ابن الإخشيد** شيخًا له، وكان من رؤوس المعتزلة. وقد عاش **الرّماني** حياته في كنف العلم والمعرفة، وجمع بين علم الكلام والعربية، وقد أثر عنه العديد من التصانيف أهمها: (تفسير القرآن)، (الألفاظ المترادفة)،و (النّكت في إعجاز القرآن)."[1]

ونحو هذا الأخير توجّهت أنظارنا في هذا المقام، فقد ألّف **الرّماني** رسالته هذه "ليحيط بها على جوانب قضية الإعجاز في القرآن حيث نجده يحاول من خلالها تحديد مفهوم البلاغة في إقصاء منه لما سبق لها من تعريفات كأن تكون البلاغة مجرد إيصال المعنى وإفهامه أو تحقيق اللّفظ على المعنى ليختار للبلاغة مفهومًا مغايرًا وهو إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللّفظ."[2]

وفي هذا نجده يقول:"وليست البلاغة إفهام المعنى وإنّما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللّفظ."[3]

---

[1]- جيلالي أمينة، مرجع سابق، ص 32.

[2]- المرجع نفسه، ص 32.

[3]- أبو الحسن الرّماني، النّكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، للرّماني و الخطابي و الجرجاني، ت.محمد خلف و محمد زغلول، دار المعارف، مصر، ص 75- 76.

ثمّ إنّه قد جعل البلاغة على ثلاث طبقات: طبقة عليا وطبقة وسطى وأخرى دنيا، ولمعرفة هاته الطبقات نورد ما قاله **الرّماني** عنها في نكته:" فأما البلاغة فهي على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة. فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز، وهو بلاغة القرآن. ومنها ما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس."[1]

وبما أنّ للبلاغة لديه شأن كبير فقد اهتم بتوضيحها "منتصرًا لبلاغة القرآن دون غيرها من البلاغات الأخرى معتبرًا إيّاها وجهًا من وجوه الإعجاز التي أظهرها في كتابه القيّم من سبع جهات نذكرها مرتّبة كما يلي:

- ترك المعارضة مع توفّر الدواعي وشدّة الحاجة.
- التحدّي للكافة.
- الصرفة.
- البلاغة.
- الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة.
- نقض العادة.
- قياسه بكل معجزة."[2]

وفي ذات المقام نجده يحصر البلاغة في عشرة أقسام وهي: (الإيجاز، التشبيه، الاستعارة، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التصريف، التضمين، المبالغة، حسن البيان)."[3]

ثم أعطى لكل قسم منها تفسيرًا وجيزًا مستشهداً بآيات من الذكر الحكيم، وسنورد في هذا الصدد ما قدّمه **الرّماني** حول هذه الأبواب البلاغية و هي:

---

[1]- الرّماني، مرجع سابق، ص 75.

[2]- أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 124.

[3]- عبد العزيز عرفة، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1405 – 1985م، ص 323.

أولا: الإيجاز.

و هو عنده:" تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبّر عنه بألفاظ كثيرة ويمكن أن يعبّر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز."[1]

وقد "جعله **الرّماني** على وجهين: حذف و قصر، أما إيجاز الحذف فهو إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام."[2]

ثمّ نجده يسوق بهذا الوجه من الإيجاز أمثلة من القرآن منها " قوله تعالى:"**وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ** "

(يوسف : 82).

ويضيف أنّ منه حذف الأجوبة وهو أبلغ من الذّكر، وقد جاء في القرآن منه كثير كقوله جلّ شأنه:"**وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ** ﴿٧٣﴾ " (الزّمر : 73).

وقد علق على الآية قائلا :كأنّه قيل حصلوا على النعيم المقيم الذي لا يشوبه التكدير."[3]

وفي توضيحه للقيمة البلاغية لإيجاز الحذف يقول:" وإنّما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذّكر، لأنّ النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمّنه البيان."[4]

أما عن "إيجاز القصر فقد وصفه بأنّه بنية الكلام على تقليل اللّفظ وتكثير المعنى من غير حذف، هذا وقد عقد **الرّماني** في هذا الباب مقارنة بين بلاغة القرآن وبلاغة البشر، فمثل من القرآن بقوله جلّ شأنه:" **وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴿١٧٩﴾ "(البقرة : 179).

---

[1]- الرّماني، مرجع سابق، ص 12.

[2]- المرجع نفسه، ص 76.

[3]- عبد العزيز عرفة، مرجع سابق، ص 323 (بتصرف).

[4]- الرّماني، المرجع نفسه، ص77.

ومثّل لبلاغة الناس بقولهم (القتل أنفى للقتل) ويقول: أنّ هذا الإيجاز مستحسن عند النّاس وبينه وبين لفظ القرآن تفاوت في البلاغة والإيجاز."[1]

ثمّ إنّه قد أظهر هذا التفاوت ضمن أربعة أوجه:

– "**الكثرة في الفائدة**: وفيه كل ما في قولهم: القتل أنفى للقتل، وزيادة معان حسنة، منها إبانة العدل لذكر القصاص، ومنها إبانة الغرض المرغوب فيه لذكره الحياة، وفيها استدعاء بالرغبة والرهبة لحكم **الله** به."[2]

– "**الإيجاز في العبارة**: أي أنّ الآية جاءت بعشرة أحرف أما قولهم (القتل أنفى للقتل) فجاءت بأربعة عشر حرفًا."[3]

– "**البعد عن الكلفة بالتكرير**: الذي فيه نوع من المشقّة على النّفس، ففي عبارة من قول البشر تكرير، كلّما حضر في كلامهم فهو مقصر في باب البلاغة عن أعلى طبقة.

– **الحسن بتأليف الحروف المتلائمة**: وهو الذي يدرك بالحسّ ويوجد في اللّفظ، فالخروج من الصاد إلى الحاء في الآية أعدل من الخروج من الألف إلى اللّام في العبارة."[4]

ويؤكّد **الرّماني** بعد ذكره لهذه الأوجه "أنّ اجتماعها في الآية الكريمة يجعله أبلغ وأحسن من قولهم وإن كان بليغًا حسنًا، وبهذا يكون الإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر، وهو البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ، أي إظهار المعنى الكثير باللّفظ اليسير وهو تهذيب الكلام بما يحسن من البيان."[5]

ثمّ إنّ "الذي عرف الإيجاز ومراتبه وتأمّل ما جاء منه في كلام **الله** تعالى سيعي حتمًا فضيلة القرآن الكريم وعلوّه على سائر الكلام، وسموّ بيانه على غيره من أصناف البيان."[6]

---

[1]– عبد العزيز عرفة، مرجع سابق ، ص 324 (بتصرف).

[2] - الرّماني، مرجع سابق، ص 77 – 78.

[3]– المرجع نفسه، ص 77 – 78.

[4]– عبد العزيز عرفة، المرجع نفسه، ص 325 (بتصرف).

[5]– ينظر، الرّماني، المرجع نفسه، ص 78– 80.

[6]– المرجع نفسه، ص 80.

ثانيًا: التشبيه.

وقد عرّفه **الرّماني** بقوله:" هو العقد على أنّ أحد الشيئين يسدّ مسد الآخر في حس أو عقل."[1]

فالتشبيه عنده مقسّم إلى حسي وعقلي، ويضيف قائلا:" والتشبيه على وجهين: تشبيه شيئين متّفقين بأنفسهما كتشبيه الجوهر بالجوهر، والسواد بالسواد. والثاني تشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما مشترك بينهما، كتشبيه الشدّة بالموت، والبيان بالسّحر الحلال. أما التشبيه البليغ فهو إخراج الأغمض من الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف."[2]

وفي ذات السّياق يعتبر **الرّماني** "التشبيه من الأبواب التي يتفاضل فيها الشعراء وتظهر فيها بلاغة البلغاء وذلك لأنّه يعطي الكلام بيانًا عجيبًا، فبلاغته تكمن في الجمع بين شيئين بمعنى يجمعهما يكسب بيانًا فيهما."[3]

هذا وقد وضّح **الرّماني** الوجوه التي يقع فيها البيان بالتشبيه في القرآن الكريم، فأعطى لكل وجه منها مثاله من الآيات الكريمة وسندرجها في هذا السياق مرتّبة باختصار كالآتي:

– "**إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة:** وذلك نحو تشبيه المعدوم بالغائب، ومثاله قوله تعالى:"**وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا** ﴿٣٩﴾ " (النور: 39).

وهنا قد اجتمع في بطلان المتوهّم مع شدّة الحاجة وعظم الفاقة، ثمّ إنّ تشبيه أعمال الكفّار بالسراب هو تشبيه بلاغة، وهو من حسن التشبيه كما نوّه إلى ذلك **الرّماني**."[4]

---

[1]- الرّماني، مرجع سابق ، ص 80.

[2] - المرجع نفسه، ص 81.

[3]– المرجع نفسه، ص 81.

[4]– عبد العزيز عرفة، مرجع سابق، ص 327.

– **"إخراج ما لم تجري به عادة إلى ما جرت به عادة:** كتشبيه البعث بعد الموت بالاستيقاظ من النوم، ومثاله من القرآن ما جاء في قوله عزَّ وجلَّ:"**إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ** ﴿٢٤﴾ " (يونس: 24).

وفيه قد اجتمع المشبّه والمشبّه به في الزينة والبهجة، ثمّ الهلاك بعده وتلك عبرة لمن اعتبر والموعظة أنّ كل فان حقير وإن طالت مدّته وصغير وإن كبر قدره."[1]

– " **إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة:** وذلك مثل تشبيه إعادة الأجسام بإعادة الكتاب، وقد استخرج **الرّماني** لهذا الوجه مثاله من القرآن من نحو قوله تعالى:"**كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ** ﴿٧﴾ "(الحاقة– :7). وهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بها فقد اجتمع المشبّه والمشبّه به في خلوّ الأجساد من الأرواح، وفي ذلك الاحتقار لكل شيء يؤول به الأمر إلى ذلك المآل."[2]

– **"إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة:** كتشبيه ضياء السراج بضياء النهار وقد أورد **الرّماني** مثالا له من كلام رب العالمين، وفيه يقول جلَّ وعلا:"**وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ** ﴿٢٤﴾ " (الرّحمن: 24).

وفيه قد اجتمعا – المشبّه والمشبّه به – في العظم إلا أنّ الجبال أعظم، والعبرة تأتي من جهة القدرة فيما صخّر من الفلك الجارية في البحر مع عظمها، وما في ذلك من منفعة للبشر."[3]

وعليه فإنّ "كل هذه التفضيلات في التشبيه كان لها عظيم الأثر في دراسات البلاغيين الذين جاءوا بعد **الرّماني**، فقد انتفع بها كل من **أبي هلال العسكري** والإمام **عبد القاهر الجرجاني**."[4]

---

[1]– الرّماني، مرجع سابق، ص 83.

[2]– المرجع نفسه، ص84.

[3]– المرجع نفسه، ص85.

[4]– عبد العزيز عرفة، مرجع سابق، ص 329.

ثالثًا: الاستعارة:

إنّ الاستعارة كما ذكرها **الرّماني** هي "تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللّغة على جهة النقل للإبانة، ثمّ حاول أن يوضّح الفرق بين الاستعارة والتشبيه فرأى أنّهما جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما كسبب بيان أحدهما بالآخر، ثمّ إنّ الغرض من الاستعارة يكون بنقل الكلمة من معناها الأصلي إلى المعنى المجازي الذي استعملت فيه."[1]

أما في التشبيه "فيكون بواسطة أداته الدالة عليه في اللغة فيبقى التشبيه في الكلام على أصله، لم يغير عنه في الاستعمال، وأضاف **الرّماني** للاستعارة ثلاثة أركان هي مستعار، ومستعار له، ومستعار منه، ثمّ إنّ اللّفظ المستعار لابد له من حقيقة وهي دلالته على معناه في أصل الوضع وحقيقته أصل استعماله في المعنى المجازي فرع، ثمّ إنّ كل استعارة في نظره لابد لها من حقيقة ولابد من بيان لا يفهم بالحقيقة."[2]

وزيادة على هذا نجده يوضح جمال الاستعارة في القرآن الكريم، ويفرد لها تحليلا رائعًا حيث مثّل لها بقوله جلَّ شأنه:" **وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا** ﴿٤﴾ " (مريم : 04) وفيه أنّ "أصل الاشتعال للنّار، وهو في هذا الموضع أبلغ وحقيقته كثرة شيب الرأس، ثمّ إنّ الكثرة في تزايدها السّريع صارت في الانتشار والإسراع كاشتعال النار...وهذا يدل على موقعه العجيب في البلاغة."[3]

وفي مثال آخر للاستعارة القرآنية نجده يذكر ما جاء في فحوى الآية الشريفة التي تقول:"**وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٞ** ﴿٤﴾ " (الزخرف : 04).

"وفيه يذكر أنّ المستعار هو (أم الكتاب) وحقيقته (أصل الكتاب) والأوّل أبلغ لأنّ الأم أجمع وأظهر فيما يرد إليه مما ينشأ عنه."[4]

---

[1]- عبد العزيز عرفة، مرجع سابق ، ص 329.

[2]- الرّماني، مرجع سابق، ص86 (بتصرف).

[3]- المرجع نفسه، ص 88 .

[4]- المرجع نفسه، ص 87 .

رابعـًا: التلاؤم:

الذي هو "نقيض التنافر، والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف، وهو عنده على ثلاث وجوه: متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا. فالمتلائم في الطبقة العليا هو القرآن كلّه، وقد حدّد الفرق بينه وبين غيره من الكلام الذي يكون في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى."[1]

ثمّ إنّ "السبب في التلاؤم هو تعديل الحروف في التأليف فكلّما كان أعدل كان أشد تلاؤمًا.

أما بخصوص التنافر فقد نقل سببه عن الخليل، ليحدّد بأنّه البعد الشديد في مخارج الحروف أو شدّة قربها."[2]

أما بلاغة التلاؤم عند **الرّماني** "فتكمن في حسن الكلام سمعًا، وسهولته لفظًا، وتقبّل معناه في النّفوس.

ويكون التلاؤم في التعديل من غير بعد شديد أو قرب شديد ليظهر بسهولته على اللّسان، وحسنه في الأسماع، وتقبّله في الطباع، وإذا أضيف إلى ذلك كلّه حسن البيان في صحة البرهان ظهر الإعجاز، وعمّ التحدّي به للجميع."[3]

فقال عزَّ وجلَّ:"**وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ** ﴿٢٣﴾ "(البقرة : 23).

[1] - ينظر، الرّماني، مرجع سابق ، ص 94 – 95.

[2] – المرجع نفسه، ص 96.

[3] – المرجع نفسه، ص 96 – 97.

خـامسًا: الفواصل:

وهي عنده "حروف متشابكة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، لأنّ الفواصل تابعة للمعاني، بينما الأسجاع فالمعاني تابعة لها."[1]

ثمّ يقول:" وفواصل القرآن كلّها بلاغة وحكمة لأنّها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل عليها وهي على وجهين: الأول على الحروف المتجانسة كقوله تعالى:" **طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣** " (طه : 1-2-3).

أما الثاني فعلى الحروف المتقاربة، كالميم من النون"[2] في قوله عزَّ وجلَّ:" **ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤** " (الفاتحة : 3 - 4).

وعليه فإنّ "الحسن في الفواصل عنده يكمن في الحروف المتقاربة، لأنّه يكتنف الكلام من البيان ما يدلّ على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع، لما في ذلك من البلاغة وحسن العبارة، إضافة إلى ذلك فإنّ الفائدة في الفواصل هي دلالتها على المقاطع، وتحسينها الكلام بالتشاكل وإبداؤها في الآي بالنّظائر."[3]

سـادسًا: التجـانس:

والمقصود به الجناس، ويقول فيه تجانس البلاغة هو بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللّغة، وقد حدّده على وجهين:

---

[1]- الرّماني، مرجع سابق، ص 97.

[2]- المرجع نفسه، ص 98 (بتصرف).

[3]- عبد العزيز عرفة، مرجع سابق، ص 334 (بتصرف).

– **المزاوجة:** وتقع في الجزاء، ثمّ نجده يسوق الشاهد على هذا من القرآن بقوله تعالى:" **فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ** ﴿١٩٤﴾ " (البقرة : 194).[1]

والمعنى من ذلك يقول: "جاروه بما يستحق على طريق العدل إلا أنّه أستعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار، فجاء على مزاوجة الكلام لحسن البيان، وفي مثل هذا تقول العرب: (الجزاء بالجزاء) أما الأوّل فليس بجزاء، وإنّما هو على مزاوجة الكلام."[2] إلا أنّ قول العرب هذا يأتي دون بلاغة القرآن الكريم.

–**"المناسبة:** الذي تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد، والشاهد من القرآن ما جاء في قوله عزَّ و جلَّ:"**ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم** ﴿١٢٧﴾ " (التوبة : 127).

والمعنى هنا أنّه جونس بالانصراف عن الذّكر،صرف القلب عن الخير و الأصل فيه واحد و هو الذهاب عن الشيء، أي أنّهم ذهبوا عن الذّكر، مع ذهاب الخير عن قلوبهم."[3]

ســابعًا: التصريـف:

وهو عنده على ضربين أما "الأوّل فهو تصريف المعنى في المعاني المختلفة كتصريف الأصل في الاشتقاق في المعاني المتعددة، وهو عقدها به على جهة المعاقبة، مثل تصريف لفظ (المُلْك) في معاني الصفات، فصرِف في معنى مَالِك، ومَلَكَ، ومَلِيك، وأيضا في معنى التَمْلِيك، وَالتَمَالُك، وَالإِمْلاَك، وَالتَّمَلُّك، ... ثمّ إنّ هذا الضرب من التصريف فيه من البيان العجيب ما يظهر فيه المعنى، بما يكتنفه من المعاني التي تظهر وتدل عليه."[4]

---

[1] - ينظر، الرّماني، مرجع سابق، ص 99.

[2] – عبد العزيز عرفة، مرجع سابق، ص 335 – 336.

[3] – الرّماني، المرجع نفسه، ص 100.

[4] – عبد العزيز عرفة، المرجع نفسه، ص337 (بتصرف).

أما عن الضرب الثاني فهو "تصريف المعنى في الدلالات المختلفة، فقد ورد في القرآن في غير قضية، فيضرب مثالا بقصة موسىU ويقول أنّها ذكرت في سورة الأعراف، وفي طه، وفي الشعراء... وغيرها، ثمّ كان لهذا الذّكر وجوه من الحكمة تتجلّى في:

- التصرّف في البلاغة من غير نقصان عن أعلى مرتبة.
- تمكين العبرة والموعظة.
- حل الشبهة في المعجزة."[1]

ثـامنًا: التضميـن:

"وهو حصول المعنى في الكلام من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه، ويدلّ عليه الكلام دلالة إخبار أو دلالة قياس، وقد أتى التضمين عند **الرّماني** على وجهين:

– **الأوّل:** تضمين توجبه البنية، فالصفة بمعلوم يوجب أنّه لابد من عالم، وكذلك مكرم.

– **أما الثاني:** هو الذي يوجبه معنى العبارة من حيث لا تصح إلا به، كالصفة بقاتل يدل على مقتول من حيث لا يصح معه معنى قاتل، ولا مقتول، فهو إذن على دلالة التضمين."[2]

وعلى ذلك فإنّ "كل آية من آيات الذّكر الحكيم لا تجدها تخلو من تضمين لم يذكر باسم أو صفة، ومن ذلك قول باسم **الله الرَّحمن الرَّحيم**، " قد تضمّن التعليم لاستفتاح الأمور على التبرّك به والتعظيم **لله** تعالى بذكره، مع الاعتراف بالنعمة ...وأنّه ملجأ الخائف."[3]

تـاسعًا: بـاب المبـالغة:

"وهي الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللّغة لتلك الإبانة"[4] حيث نجدها تتجلى لديه على ضروب نذكرها كما يلي:

---

[1]- الرّماني، مرجع سابق، ص 102.

[2]- ينظر، المرجع نفسه ، ص 102- 103.

[3]- عبد العزيز عرفة، مرجع سابق، ص 338 .

[4] - ينظر، الرّماني، المرجع نفسه، ص 104.

1- "**المبالغة في الصفة المعدولة** مثل **غفَّار**، معدول عن غافر للمبالغة، كما في قوله تعالى: "**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴿٨٢﴾** " (طه : 82).

2- "**إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة** ومثال ذلك، قوله تعالى: " **فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ ﴿٢٦﴾** " (النحل :16). أي أتاهم بعظيم بأسه فجعل ذلك إتيانًا له على المبالغة." [1]

3- "**المبالغة بالصيغة العامة في موضع الخاصة**، لقول القائل: أتاني النّاس، وهنا ربما لم يأته إلا خمسة فقط فاستكثرهم وبالغ في العبارة عنهم.

4- **إخراج الممكن إلى الممتنع للمبالغة** نحو قوله جلّ شأنه:"**وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ ﴿٤٠﴾** " (الأعراف : 40)."[2]

5- "**إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة** في العدل والمظاهرة في الحجاج ومن ذلك قوله تعالى:" **وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾** " (سبأ : 24).

6- **حذف الأجوبة للمبالغة** والشاهد قوله تعالى:"**وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾**" (الأنعام : 27)." [3]

عــاشراً: البيــان:

أما البيان "فحدّه هو الإحضار لما يظهر به تميّز الشّيء من غيره في الإدراك، وقد قسّمه **الرّماني** هو الآخر إلى أقسام هي: كلام، وحال، وإشارة، وعلامة، وفي هذا السياق نجده يقسّم الكلام إلى

[1] - ينظر، الرّماني، مرجع سابق، ص 104- 105.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 104 - 105.

[3]- عبد العزيز عرفة، مرجع سابق، ص 339.

قسمين أحدهما كلام يظهر به تميّز الشّيء من غيره، فهو بيان. أما الثاني فهو كلام لا يظهر به تميّز الشّيء فهو ليس ببيان، فشبّهه بالكلام المخلط الذي لا يفهم به معنى."[1]

ثمّ إنّ "البيان في الكلام لا يخلو من أن يكون باسم أو صفة أو تأليف من غير اسم للمعنى أو صفة. أما عن حسن البيان في الكلام فهو عنده على مراتب: أعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النّظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللّسان وتتقبّله النّفس، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة."[2]

وقد نوّه **الرّماني** إلى أنّ القرآن كلّه نهاية حسن البيان، ونراه يسوق عديد الشواهد القرآنية في هذا الباب ومنها قوله تعالى:"**وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ** ﴿٧١﴾ " (الزخرف :71). وهذا أشدّ ما يكون من الترغيب."[3]

[1]- الرّماني، مرجع سابق ، ص 106.

[2]- عبد العزيز عرفة، مرجع سابق، ص 341.

[3]- الرّماني، المرجع نفسه، ص107- 109.

ب. الخطّــابي (388هـ).

هو "**أبو سليمان أحمد ابن محمد بن إبراهيم بن الخطّاب البستي**، والمعروف **بالخطّابي**، كان فقيهًا، محدثًا وأديبًا وشاعرًا ولغويًا، أخذ اللّغة عن **أبي علي إسماعيل الصفّار**، ومن أشهر تصانيفه (أعلام السنن لشرح صحيح **البخاري**)، (معالم السنن في شرح سنن **أبي داوود**) و(غريب الحديث)، و(البيان في إعجاز القرآن)."[1]

ويعدّ **الخطّابي** من أعلام الفكر الإسلامي في القرن الرابع الهجري الذين امتازت كتاباتهم بغزارة المادة، وعمق الفكرة ودقة الاستنباط، مع روعة البيان. وقد جمع **الخطّابي** بين البلاغة وعلم الكلام، فألّف رسالته (البيان في إعجاز القرآن) مبتدئاً إيّاها بقوله:" قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديماً وحديثاً، وذهبوا فيه كل مذهب من القول وما وجدناهم – بعد- صدروا عن ريّ وذلك لتعذّر معرفة وجه الإعجاز في القرآن، ومعرفة الأمر في الوقوف على كيفيته."[2]

وقد رأى **الخطّابي** أنّ "بلاغة القرآن ترجع إلى جمال ألفاظه وحسن نظمه، وسموّ معانيه، وتأثيره في النّفوس وفي هذا نجده يقول: واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزًا لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني."[3]

ويتّضح للمتأمّل في فحوى رسالة البيان **للخطّابي** تلك الموازنة والاستفادة من النصوص الشّعرية والملاحظات البيانية في الحديث عن أسلوب القرآن الذي نجده يقول عنه: "إنّ أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية ومنها:

1. البليغ الرّصين الجزل، وهو أعلى طبقات الكلام وأرفعه.

---

[1]- جيلالي أمينة حورية، مرجع سابق، ص38.

[2]- أبو سليمان الخطّابي، البيان في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، للرّماني و الخطابي و الجرجاني، ت.محمد خلف الله و محمد زغلول، دار المعارف، مصر، ط 3 ، ص 21.

[3]- أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 129.

2. الفصيح القريب السهل، وهو أوسط الكلام وأقصده.

3. الجائز الطلق الرّسل، وهو أدنى الكلام وأقربه."[1]

وقد اعتبر هذه الثلاثة "أقسامًا للمعاني، الفاضل المحمود دون النوع الهجين المذموم الذي لا وجود له في القرآن بالتأكيد، ثمّ إنّ بلاغات القرآن قد حازت من كل قسم حصة وأخذت من كل نوع شعبة، لينتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة، وكان اجتماعهما في نظمه فضيلة خصّ بها القرآن، يسّرها **الله** سبحانه بلطيف قدرته ليكون آية بيّنة لنبيّه ρ ".[2]

"فلا يقدر أي أحد من البشر على الإتيان بمثله، ثمّ إنّ هذا التعذّر يأتي لأمور قد حدّدها **الخطّابي** في بيانه منها أنّ علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللّغة العربية وبألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل لها.إذ لا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، وعليه لا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النّظوم التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض، فيتوصّلوا باختيار الألفاظ عن الأحسن من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله."[3]

وفي هذا نجده ينوّه على أنّ "الكلام يقوم على ثلاثة أشياء هي: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم. فإذا تأمّلنا القرآن وجدنا هذه الأمور كما يقول **الخطّابي** في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ثمّ لا ترى نظمًا أحسن تأليفًا وأشدّ تلاؤمًا وتشاكلًا من نّظمه، أما المعاني فتشهد لها العقول بالتقدّم في أبوابها، والترقّي إلى أعلى درجات الفضل."[4]

[1]- أبو سليمان الخطّابي، مرجع سابق ، ص 26.

[2]- أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي، مرجع سابق ، ص 132- 133.

[3]- أبو سليمان الخطّابي، المرجع نفسه ، ص 26 - 27 (بتصرف).

[4]- أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي، المرجع نفسه ، ص 133.

ومعنى هذا أنّ وجه الإعجاز عند **الخطّابي** يكمن في النّظم مع صحة المعاني وفصاحة الألفاظ.

وللإشارة فإنّ **الخطّابي** لم يبحث موضوعات البلاغة كما بحثها **الرّماني** مثلما سبق وأن أشرنا، إلا أنّه اعتبرها ضمن قضية الإعجاز في المقام الثاني بعد النّظم.

هذا وقد أفرد ضمن حديثه عن البلاغة كلامًا عن قضية من القضايا البارزة في رسالة البيان، ألا وهي عمود البلاغة، وفي حدّه لها يقول: "عمود البلاغة هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص والأشكل به، الذي إذا أبدل في مكانه غيره جاء منه: إماّ تبدّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرّونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، ثمّ إنّ في الكلام ألفاظًا متقاربة في المعاني."[1]

ضف إلى ذلك فإنّ معنى الكلام إنّما يقوم على معرفة مواقع تلك الألفاظ في العبارات، وعليه فإنّ الإعجاز ليس في اللّفظ وإنمّا في تأليفه. وفي هذا المعنى يقول:" ولم نقتصر فيما اعتمدناه من البلاغة لإعجاز القرآن على مفرد الألفاظ التي منها يتركّب الكلام دونما يتضمّنه من ودائعه التي هي معانيه وملابسه التي هي نظوم تأليفه."[2]

وفي هذا نجده يوضح سر الإعجاز الذي هو "الجمع بين المعاني والموضوعات إلى ذلك النّظم البديع والتأليف المتلائم واضعًا كل شيء منه موضعه الذي لا يرى في صورة العقل أمر أليق منه، ومن المعلوم أنّ الإتيان بكل هذا أمر تعجز عنه قوى البشر وبذلك عجز الخلق عن معارضة القرآن الكريم."[3]

ثمّ إنّ في هذه النظرات التي قدّمها **الخطّابي** في رسالته، وكذا التحليل البديع الذي ساقه في محتواها يدلّ على أنّ "العرب لم يصنعوا في معارضة كلام **الله** تعالى شيئاً يذكر، مع أنّ **الخطّابي** في وقفاته تلك ينم على ذوق فنّي ونزعة أدبية اتّخذت من النصوص سبيلا لدراسة أساليبها والموازنة بينها.

---

[1]- أبو سليمان الخطّابي، مرجع سابق ، ص 29.

[2]- أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 134 (بتصرف).

[3]- المرجع نفسه، ص 130.

وتلك خطوة لفتح الطريق أمام المهتمين بدراسة أسلوب القرآن **كالباقلّاني**، ومن عني بالموازنة **كالآمدي**، إضافة إلى إسهامها في تجلّي فكرة النّظم لدى **عبد القاهر الجرجاني** التي بنى عليها رأيه في إعجاز القرآن المجيد."[1]

ج. القاضي عبد الجبـار (415هـ).

إذا أتينا إلى القاضي **عبد الجبار الأسد آبادي** وكتابه (المغني في أبواب التوحيد والعدل)، وجدناه يتحدّث عن إعجاز القرآن في محتوى الجزء السادس عشر، وفيه أظهر المؤلّف إعجاز القرآن بالنّظم والفصاحة إذ يقول: "اعلم... أنّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام وإنّما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ولابد مع الضم أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع."[2]

وفي حديثه عن فكرة النّظم في القرآن نجده يقدّم رأيه فيها من خلال قوله:"إنّ بلاغة القرآن والفصاحة إنّما تقومان على ضّم الكلمات وتقاربها، أي في نظمها وتآلفها" وهذا الذي بلور فكرة النّظم لدى **عبد القاهر الجرجاني** فيما بعد، فتبنّى هذه الفكرة ليقيم عليها نظريته.

وتتلخّص جهوده في الإعجاز في أنّ النّظم أي الطريقة، لا يتعلّق بالإعجاز إلا إذا انضافت إليه الفصاحة التي ترتبط بحسن المعنى وجزالة اللّفظ، والنّظم عنده هو النّسق والطريقة، واختصاص القرآن بالفصاحة والنّظم وانفراده بهما يوجب كونه معجزًا."[3]

---

[1]- أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 139 (بتصرف).

[2]- نادية الموسوي، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم عند السيوطي في كتابيه الإتقان ومعترك الأقران، دار الصفاء، عمان، ط 1، 2014م-1435هـ- ص 25.

[3]- جيلالي أمينة حورية، مرجع سابق، ص 47.

وفي هذا الشأن تتجلى لنا قضية أخرى من قضايا البلاغة في عصر **الباقلّاني** ألا وهي:

3-2.قضيــة الــنّظم:

تعد قضية النظم من بين القضايا البلاغية الهامة التي حظيت باهتمام وعناية العلماء، ثمّ إنّ النّظم كما سبق وأن أشرنا إليه كسمة من سمات الأسلوب القرآني، ضف إلى ذلك فإنّ" النّظم والرّصف المتفرّد، والبناء المتلاحم من أخصّ خصائص القرآن الكريم، وأدق صفاته، فالنّظم القرآني نظم شديد التّرابط، والتناسب والانسجام فلا اختلاف فيه ولا تنافر، لأنّ القرآن هو أحسن الحديث وأبلغه." [1]

وقد تناول العلماء موضوع النّظم في كلامهم عن قضية الإعجاز، فعدّه الكثيرون وجهًا من وجوهه، وأنّ في النّظم يكمن سر الإعجاز البلاغي،" وإذا كان الإعجاز مرتبطًا أساسًا بمعرفة النّظم، فلأنّه العلم الذي يهيئ الفرد لفهم البيان والإعجاز في القرآن، ويجعله يقتنع بالحجة بأن القرآن معجز بمعانيه وكلماته وحروفه وتركيبه."[2]

"وقد اجتهد أحد البلاغيين في بيان تراكيبه بالدّرس والتّحليل ليصبح هذا العلم منسوبًا إليه، ويذكر بذكره، ولا يدرسه باحث إلّا وكان **عبد القاهر الجرجاني** شاهدًا في دعواه، فكان له كبير الفضل في إسراء قواعد هذا العلم والمضيّ إلى تطوير فكرة النّظم لتصبح على يديه نظرية لها قواعد وأسس تقوم عليها."[3]

ومن المسائل التي عني بها **عبد القاهر** في النّظم " تلك التغيّرات التي تطرأ على التركيب في الذّكر والحذف، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، والتعريف والتنكير، والإظهار والإضمار، والتصريح والكناية، والحقيقة والمجاز، وهي ضروب من الأساليب يشكل النّحو فيها عنصرًا بارزًا لإعطائها الصورة المكتملة."[4]

---

[1] – جمال الدين شريف، جمال النّظم القرآني، مجلة الداعي الشهرية، دار العلوم ديو بند، أبريل – ماي 2012م، ع: 5 – 6، س: 36.

[2] – محمد الحجوي، في رحاب القرآن الكريم، دراسة في البيان والتراكيب، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 2010م، ص 128.

[3] – المرجع نفسه، ص 128.

[4] – المرجع نفسه، ص 128.

ثمّ إنّ الإمام **الجرجاني** قد" احتج على عبقرية لغة القرآن في نظرية النّظم حيث نصّ على وجوه من الدّقة في التركيب كقوله تعالى:" **وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا** ۞ " (مريم: 04) .

وعنها يقول: واعلم أنّ في الآية شيئًا آخر من جنس النّظم، وهو تعريف الرأس بالألف واللام، وإفادة معنى الإضافة من غير إضافة، وهو أحد ما أوجب المزيّة، ولو قيل: واشتعل رأسي، فصرّح بالإضافة لذهب بعض الحسن.."[1]

ضف إلى ذلك فإنّ الإعجاز عند **الجرجاني** "لا يرتكز في المفردات المجرّدة، بل في النّظم الذي هو السمة التي بها يتفاضل البلغاء، فجودة التراكيب وجمال النظوم يرفع الكلام درجات عالية، فإذا انسجمت المفردات وتناسبت الكلمات، وقوية الرابطة حتى تناتج الفضل ما بينها وحصلت المزيّة من مجموعها، فتلك هي البلاغة الكاملة."[2]

ثم نجد **الجرجاني** في دراسته للإعجاز" لا يقتصر على ترابط الألفاظ المفردة فحسب، بل يتعدّاه إلى الربط بين الجملة والجملة وهذه المفردات لم تأخذ دقة معناها إلّا عندما نظمها السيّاق وجمعها النّظم والتركيب، الذي هو من خصائص القرآن التي تفرّد بها على غيره من الكلام."[3]

[1] – محمد الحجوي، مرجع سابق، ص 128 – 129.

[2] – جمال الدين شريف، مرجع سابق.

[3] – جمال الدين شريف، المرجع نفسه.

3-3. قضية المجـاز:

وهي من القضايا البلاغية التي شغلت اهتمام البلاغيين واللّغويين والأصوليين في زمن **الباقلّاني** ثم إنّ"المجاز يعد فنًا ولونًا من الألوان البيانية المعروفة، إلّا أنّه يحتل مركز الصدارة في إطار هذه الفنون."[1] " أما المجاز فهو مأخوذ في اللّغة من الجواز، وهو الانتقال من حال إلى حال ."[2]

أو هو اللّفظ المتواضع على استعماله والمستعمل في غير ما وضع له، وقد " بدأ الاهتمام بالظاهرة المجازية في مطلع القرن الثالث الهجري، وأول من استخدم لفظة (المجاز) هو **أبو عبيدة**، حيث صنّف كتابًا في القرآن سمّاه (مجاز القرآن)، ولم تكن معالجته خالصة لبيان الدلالة المجازية، وإنما كان يقصد بالمجاز معناه اللّغوي."[3]

وقد توالى الاهتمام بدراسة المجاز ليصنّف العلماء مصنّفات عالجوا فيها هذه القضية، "فقد ألّف **ابن قتيبة** كتابه (تأويل مشكل القرآن) الذي ردّ فيه على الذين نفوا المجاز في القرآن وقد اتّسمت دراسته بالنضج في هذا الباب."[4]

أمّا "**الشريف الرّضي** فقد ألّف كتابي(تلخيص البيان في مجازات القرآن)، و(المجازات القرآنية) واستخرج الآيات الكريمة التي تشمل المجاز وكان مفهومه لديه يمثل الصور البيانية (التشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية)."[5]

إضافة إلى هذا فإن "الدراسة المجازية قد أخذت الصورة النهائية على يد الإمام **عبد القاهر الجرجاني** فقد سلط الضوء على المجاز في كتابيه (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة) حتى بلغ البحث المجازي على يديه مرحلة النضج والتجديد البلاغي."[6]

---

[1] – نادية الموسوي، مرجع سابق، ص 211.

[2] – مولاي ميموني، الحقيقة والمجاز (الحلقة الثالثة)، منبر حر للثقافة والفكر والأدب، السبت 26 مارس2011م.

[3] – نادية الموسوي، المرجع نفسه، ص 211.

[4] – المرجع نفسه، ص 212.

[5] – المرجع نفسه، ص 212.

[6] – المرجع نفسه، ص 212.

فكان "المجاز لديه على نوعين:

– **المجاز اللّغوي**: وهو اللّفظ المستعمل في غير ما وضع له في أصل اللّغة لملاحظة العلاقة بين المعنى الحقيقي، والمعنى المجازي،كقولنا: اليد مجاز في النعمة، والأسد مجاز في الإنسان، وهو على أربعة أقسام"[1]:

1– "مجاز مفرد مرسل: ومثاله من القرآن قوله تعالى:" **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ** ﴿١١٨﴾ " (آل عمران: 118).

والمجاز في الآية يظهر في لفظة (البَغضاء) وهو مجاز عن الكلمات الدالة على الكراهية."[2]

2- **"مجاز مفرد بالاستعارة.**

3- **مجاز مركّب مرسل.**

4- **مجاز مركّب بالاستعارة.**

أمّا القسم الثاني من المجاز وهو

– **المجاز الحكمي**: وهو الذي توصف به الجمل في التأليف والإسناد.ثم إنّ فن المجاز أصبح واضح التقسيم بعد أن كان يشمل فنون البيان عامة."[3]

[1] - حورية عبيب، أساليب الحقيقة والمجاز في القرآن (سورة الكهف نموذجا)، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 1428هـ – 2008م، ص 77- 79.

[2] – المرجع نفسه، ص77- 79.

[3] – ينظر، نادية الموسوي، مرجع سابق، ص 213، وحورية عبيب، المرجع نفسه، ص 77.

3-4.قضية البديــع:

وهي من القضايا البلاغية البارزة التي شهدها القرن الرابع الهجري، " والبديع في اللّغة هو الجديد والبارع والعجيب، وقد فهمه العلماء القدامى حيث استدلَّ **ابن المعتز** بأنّ البديع موجود في القرآن واللّغة وأحاديث النّبيρ ، وكلام الصحابة رضوان الله عليهم، والأعراب وغيرهم، وأشعار المتقدّمين.

وبهذا الاستدلال حسم القول في قضية شغلت علماء العربية لفترات من الزمن."[1]

أمّا البديع في عهد **الباقلّاني** "فلا يراد به العلم الثالث من علوم البلاغة تلك التي وضع تقسيماتها **القزويني** (739هـ) فيما بعد في كتابه (الإيضاح..)."[2]

ومن العلماء الذين تكلّموا عن قضية البديع "**قدامة ابن جعفر** في كتابه (نقد الشّعر)، وقد تناول فيه كثيرًا من المحسّنات البديعية بالمعنى العام للبديع، من كون هذه المحسّنات أوصافًا للشّعر، ومنها الترصيع، والتصريح، والغلوّ، والتشبيه، وصحة التقسيم، وصحة التفسير، والمبالغة، والالتفات والإرداف والإشارة...الخ."[3]

كما نجد **الباقلّاني** قد تناول قضية البديع في كتابه (إعجاز القرآن) وعقد فصلا تكلم فيه عن البديع في الكلام.

---

[1] – فاضل عبود، إشكالية البديع وإعجاز القرآن رؤية (الباقلّاني) مثالا، مجلة ديالي، جامعة ديالي، ع 46، 2010م ، ص 281.

[2] – المرجع نفسه، ص281.

[3] – فريد النكلاوي وإسماعيل الأنور، دراسات حول نشأة البحث البلاغي، تطوّره كلية د – إ– ع ،جامعة الأزهر، ص 54.

المبحث الثاني:

☙ منهج الباقلّاني في الدراسة النقدية و البلاغية ❧

1- الباقلّاني ومنهجه النقدي:

"إنّ المتأمّل في مسار النّقد يلحظ أنّه لم يكن في مساقه العام موجهًا إلى خدمة فكرة الإعجاز بالمقارنة بما أصبحت عليه البلاغة، إلا أنّه وباتّصاله بهذه الأخيرة كان من الطبيعي أن يقف النّقد عند تلك الفكرة، أو يجعل وسائله صالحة للوقوف عندها."[1]

وعليه فإنّ "جل العلماء قد أولوا عناية بالغة بمسألة الإعجاز القرآني وكونها تدخل ضمن النّقد فإنّنا نرى جهودهم النّقدية تعد على هامش النّقد الأدبي إذا قيست بجهد الإمام **الباقلّاني** لأنّه العالم الوحيد الذي استطاع أن يفيد إفادة تفصيلية من جهود النّقاد السابقين وأن يطوّر أثناء بحثه لقضية الإعجاز بعض النواحي النّقدية."[2]

وعليه فقد اتضح لدى **الباقلّاني** بعد اطلاعه على جهود العلماء أمثال **الجاحظ، وابن قتيبة وابن معتز، وقدامة، والآمدي،** أنّ فكرة الإعجاز لدى نقّاد الأدب قد سارت على طريقين:

- "الأولى هي الطريق التي سار فيها **ابن معتز وقدامة،** وتبعهما فيها **الرّماني،** ألا وهي تعليل الإعجاز عن طريق البديع، أو دراسة الصور البيانية في القرآن، حيث ألمّ **ابن قتيبة** بأطرافها ضمن كتابه (مشكل القرآن).

- وأما الطريقة النّقدية الثانية فهي مذهب القائلين بالنّظم والتأليف، وهي طريقة **الجاحظ والآمدي** وكذا **الخطّابي**."[3]

---

[1]- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة بيروت، ط4، 1983م - 1404هـ، ص05.

[2]- المرجع نفسه، ص 345 .

[3]- المرجع نفسه، ص 345 .

فقضية الإعجاز لدى **الباقلّاني** "تعدّ من علم الشّعر والأدب، ثمّ إنّ التعرف على طرائق الكلام وكيفية تقلّبه في وجوه الفصاحة والبلاغة، والتعمّل والطّبع، والرويّة والبديهة، وقد عالجها **الباقلّاني** في هذه الحدود، دون أن يداخلها مع علم الكلام وعلم أصول الدّين، إلا ما يمس جوهره لتظل القضية أدبية خالصة."[1]

وفي هذا نجد "المناهج النّقدية ضمن مؤلّفات إعجاز القرآن الكريم قد تعدّدت تبعًا لتعدّد ثقافات النّقاد ومذاهبهم، وقد أدّى هذا الاختلاف إلى تفاوت نظراتهم إلى النّص الأدبي فاختلفت بذلك آراؤهم وأحكامهم، وبالتالي تفاوت وتعدّد مناهجهم."[2]

ومن هذا المنطلق وقبل الحديث عن المنهج النّقدي الذي اعتمده **الباقلّاني** في دراسته المختلفة حري بنا في البداية أن نقف عند معنى (المنهج):

"الذي هو في اللّغة: الطريق الواضح.

-أما في الاصطلاح: فهو الطريقة التي يتّبعها الباحث في بناء بحثه أي إدامة النّظر في بناء الكتاب في الهيكل أو في الخطّة، من البداية إلى النهاية، مع توزيع المادة كلّها في عموم الكتاب وجزئيًا في خصوص فروعه."[3]

ومن بين تلك المناهج نجد "المنهج الاعتقادي في النّقد، وهذا النوع من النّقد تتحكم فيه عقائد وآراء خاصة عند النّاقد، وهو يحمل معنى الميل إلى نزعة خاصة.

وقد اتّخذ **الباقلّاني** من المنهج الاعتقادي طريقًا رسمه لنفسه في عملية التحليل النّقدي للنصوص، وقد طبّق منهجه هذا ببراعة خلال تناوله لقضية الإعجاز القرآني."[4]

---

[1] – محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 2، 1997م، 1418هـ، ص 174.

[2] – عكاب الحياني، السمات الفنية في المنهج النقدي الاعتقادي عند الباقلّاني (دراسة نقدية)، مجلة سر من رأى، كلية التربية، جامعة سامراء، م 8، ع 31، السنة الثامنة تشرين 1، 2013م، ص 200.

[3] – المرجع نفسه، ص 200.

[4] – المرجع نفسه، ص 200.

ضف إلى ذلك "ما امتاز به **الباقلّاني** عن مناصريه بنظرته إلى الكلام النظرة الكلّية التي تتّخذ من السّورة أو القصيدة مجالا للعرض والتحليل."[1]

زيادة على هذا فقد كان "**للباقلّاني** مذهب في النّقد يرجع إلى فهم الأثر الأدبي جملة، وتحليل خصائصه، والموازنة بينه وبين غيره من الآثار الأدبية، وبيان منزلته البيانية والأدبية والفكرية ممّا يظهر بجلاء في كتابه (إعجاز القرآن) الذي ترك آثارًا كبيرة في النّقد الأدبي."[2]

ولازال يعدّ هذا الكتاب من مصادر النّقد وأصوله، الذي تجلى من خلاله منهج **الباقلاني** "في نقد الشعراء أصحاب القصائد الطوال حيث لا ينقد بيتًا أو بيتين من القصيدة بل ينقدها كاملة، مع تبيان رأيه فيها وفي شاعرية صاحبها."[3]

وقد ابتدأ **الباقلّاني** منهجه النّقدي في كتابه (إعجاز القرآن) يتناول بعض الآثار الفنّية الرائعة بالتحليل متمثلة في بعض خطب النّبي محمّد ρ، وبعض فصحاء العرب والبلغاء، هذا من جهة النّثر أما من حيث الشّعر فقد اختار من أفضل ما اتّفق النّقاد على جودته من الآثار الشّعرية القديمة حيث عمد إلى معلّقة **امرئ القيس** وقصائد **البحتري** ينقدها ويحلّلها." [4]

[1] – أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 160.

[2] – محمد عبد المنعم خفاجي، الفكر النقدي والأدبي في القرن الرابع الهجري، رابطة الأدب الحديث، ص 89.

[3] - المرجع نفسه، ص 89.

[4] – عكاب الحياني، مرجع سابق، ص 201.

1-1.الباقلاني ونقد الكلام:

إنّ المطّلع على إرث **الباقلّاني** "يجد في كلامه أفكاراً تتصل بنقد الكلام وبلاغته، ولا يجدها في كتب النّقد والبلاغة الأخرى، حيث يرى أنّ الكتب التي درست نقد الشّعر وعياره ووزنه بميزانه ومعياره لم تكن مستوفاة." [1]

"فالنّقد عنده كان من الأمور الصعبة التمييز، والاتّفاق في النّقد أمر صعب لأنّ النّاس متفاوتون في المعرفة ولو اتّفقوا فيها لم يجز أن يتّفقوا في معرفة هذا الفن لاتّصاله بعلوم كثيرة المذاهب." [2]

وفي هذا نجد **الباقلّاني** يقول:"فإذا كان نقد الكلام كلّه صعبًا وتمييزه شديدًا، والوقوع على اختلاف فنونه متعذّرًا، وهذا في كلام الآدميين فما ضنّك بكلام رب العالمين."[3]

ضف إلى ذلك فإنّ "نقد الكلام لا يأتي إلا للعارف بالصنعة، وفي هذا نجده يكرر الدعوة إلى المعرفة والتدرّب في هذا الفن، إذ ينبغي للذي لم يكن كذلك أن يجلس مجلس المقلّدين ولا يعطي أحكامًا، لأنّه في هذا غير قادر على التمييز بين الكلام." [4]

وفي نفس السّياق يقول:"أنّ العالم لا يشذّ عنه شيء من ذلك ولا تخفى عليه مراتب هؤلاء... حتّى أنّه إذا عرف طريقة شاعر في قصائد عدة فأنشد غيرها من شعره لم يشك أنّ ذلك من نسجه ولم يرتب أنّها نظمه...ولا يخفى على النّاقد العالم معرفة سارق الألفاظ ولا سارق المعاني ولا من يخترعها، ولا من يلم بها ولا من يجاهر بالأخذ ممن يكاتم به." [5]

وعليه فإنّ "تمييز الكلام من مهمة النّاقد العالم الذي يميّز بين الأساليب ويعرف الجيّد من الرّديء وهي مهمة صعبة تحتاج عناية وروية وثقافة واسعة.

---

[1]- محمد أبو موسى، مرجع سابق ص 174.

[2]- أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 157.

[3]- الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 300.

[4] - أحمد مطلوب، اتجاهات النقد، المرجع نفسه، ص 157.

[5]- ينظر، الباقلّاني، إعجاز القرآن، المرجع نفسه، ص 120-121.

وقد أدرك **الباقلّاني** ذلك، فنقد الكلام على استحياء ومسّه مسًا رقيقًا وطاف بفنونه المختلفة ليظهر أنّ القرآن أروع وأنّ آياته أرفع." [1]

وقد عرض **الباقلّاني**"لمذاهب الاختيار في الشّعر، وهي تعني مذاهب النّقد في التراث الأدبي، وقد أوجز الكلام في ذلك منوّها إلى هذه المذاهب وتنوّعها بتنوّع أسس الاختيار إنّما هي في باب المفاضلة وتكون بعد الاتفاق على أنّ هذا الشّعر يدخل في دائرة الشّعر الجيّد، فيكون الاختلاف تحديد درجات الفضل، وزيادة على هذا يكون هناك اتّفاقًا على تحديد ما هو دون الجيّد، وكأنّ لنقاد الشّعر قدرًا مشتركًا هو موضع اتّفاقهم." [2]

وفي قياس أهل صنعة الشّعر بغيرهم نجد **الباقلّاني** يقول:" وهذا كما يميّز أهل كل صناعة صنعتهم فيعرف **الصيرفيُّ** من النّقد ما يخفى على غيره ...وإن كان يبقى مع معرفة هذا الشأن أمر آخر، وربما اختلفوا فيه..."[3]

ومن مذاهب الاختيار التي ذكرها هي:

– "**المذهب الأول**: الاختيار الذي أساسه متانة الكلام ورصانته، فالنّاظر إلى الشّعر لا ينظر في غرضه ولا معانيه، وإنّما من جهة فحولة الكلام، وقوّة أسره، وشدّة تلاحمه، ووكادة بناءه."[4]

– "**المذهب الثاني**: وهو ما ينظر فيه إلى الشّعر من حيث كثرة ماءه وروعة بهجته، وروائه وسلاسة مأخذه، وسلامة وجوهه وما يتّصل ببهجة صوغه ورقّة نغمه، وانسياب لحنه، مما نراه في القصائد والأشعار السائرة، التي تعانق النّفس بعذوبة ألفاظها، وسلاسة ألحانها." [5]

[1] – أحمد مطلوب، اتجاهات النقد، مرجع سابق، ص 159– 160.

[2] – محمد أبو موسى، مرجع سابق ، ص 256.

[3] – الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 113.

[4] – محمد أبو موسى، المرجع نفسه ، ص 258.

[5] – المرجع نفسه، ص 258.

– "**المذهب الثالث**: وهو الذي ينظر فيه إلى الشّعر من حيث غرابة ألفاظه، وبعد معانيه وغموضها، وفيه يقول **الباقلّاني**:... كما قد يختار قوم ما يغمض معناه، ويغرب لفظه، ولا يختار ما سهل على اللسان وسبق إلى البيان." [1]

– "**المذهب الرابع**: وقد حدّده الإمام بما روى من قول **عمر** ψ في شعر **زهير** أنّه كان لا يمدح الرجل إلا بما فيه، ومن خلال هذا يكون تحديد المذهب الذي ينظر إلى الشّعر لا من حيث بنيته اللّفظية وإنّما من حيث مضمونه الأخلاقي وأثره في صقل النفوس وتهذيبها، مع القصد في تناول المعاني والبعد عن الإفراط وكثرة المبالغة." [2]

– "**المذهب الخامس**: وهو مذهب الغلو والإفراط حتى ربما قالوا: أحسن الشّعر أكذبه، وقد حرّر العلماء هذا المذهب وأبانوا المراد بالكذب بأنّه غالبًا ما يراد به تعليل الأشياء بعلل تقوم في نفس الشّاعر من نسيج إحساسه ورؤيته للشيء، وأنّه من باب التأويل الشّعري للأشياء، وهو من جوهر الأدب." [3]

–"**المذهب السادس**: وهو الوسط بين كل مذهبين من هذه المذاهب السابقة الذّكر، فهو مذهب التوسّط بين المتانة في الألفاظ والسلاسة فيها، وبين الإفراط في المعاني والاقتصاد فيها.

– **المذهب السابع**: وهو مؤسّس على الصنعة والتعمّل وحسن التّأتي في سياسة المعاني والألفاظ[4] والمراد بالصنعة هو الإتقان والإحكام والفطنة في المراجعة والصقل، وليس التكلّف في الصياغة وقيادة المعاني على غير وجهها."

[1] – محمد أبو موسى، مرجع سابق ، ص 258.
[2] – المرجع نفسه، ص 260.
[3] – المرجع نفسه، ص 266.
[4] – المرجع نفسه، ص 270.

وفيه يقول **الباقلّاني**:"...ما كان أكثر صنعة وألطف تعمّلا، وأن يتخيّر الألفاظ الرشيقة للمعاني البديعة و القوافي الواقعة." [1]

وبعد ذكر أهم ما استنبط من مذاهب في هذا الباب نجد **الباقلّاني** قد سعى إلى رسم منهجه من خلال نقده لشّعر **امرئ القيس** و**البحتري**، وكان هذا تمهيداً للحديث عن نظم القرآن، حيث كانت له فيما بعد موازنة بين بلاغة مختارات الشّعر الفصيح وبلاغة كتاب **الله** تعالى.

[1] – محمد أبو موسى، مرجع سابق، ص 270.

1-2.نقد الباقلّاني لمعلّقة امرئ القيس:

لقد عمد **الباقلّاني** إلى دراسة قصيدة **امرئ القيس** لمكانتها في الأدب العربي، وقد كان الإمام شديد الإعجاب بها، وفي ذلك نجده يقول راسمًا منهجه النّقدي:" إذ أردنا تحقيق ما ضمنّاه لك فمن سبيلنا أن نعمد إلى قصيدة متّفق على كبر محلّها وصحة نظمها وجودة بلاغتها ورشاقة معانيها وإجماعهم على إبداع صاحبها فيها مع كونه من الموصوفين بالتقدّم في الصناعة." [1]

ثمّ إنّ تحليله لقصيدة **امرئ القيس** كانت بهدف إظهار نظم القرآن وبديع عباراته وأسلوبه فاستدعى منه ذلك تبيان الخلل والتفاوت في نظم المعلّقة، حيث قال:"... فنقفك على مواضع خللها وعلى تفاوت نظمها وعلى اختلاف فصولها، وعلى كثرة فضولها، وعلى شدّة تعسّفها، وبعض تكلّفها وما تجمع من كلام رفيع يقرن بكلام وضيع، وبين لفظ سوقي يقرن بلفظ ملوكي." [2]

وقد طبّق منهجه النّقدي من خلال تحليله ونقده لمعلّقة **امرئ القيس**، القائل في مطلعها:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيب وَمنْزِلِ ** بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ**

فتوضح فالمقراة لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا ** لما نسجتها من جنُوب وشمْــأَلِ."**[3]

وفي كلامه عن المعلّقة يقول:" إنّ هذه القصيدة ونظرائها تتفاوت في أبياتها تفاوتًا بيّنًا في الجودة والرداءة، والسلامة والانحلال والتمكّن والاستصعاب، والتمهّل والاسترسال..." [4]

وفي نقده للبيتين السابقين نجده يذكر أنّ "ليس فيهما شيء قد سبق في ميدانهم شاعرًا ولا تقدّم به صانعًا، ففي لفظه ومعناه خلل فأول ذلك أنّه:

---

[1] – الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 156.

[2] – المرجع نفسه، ص 156.

[3] – أحمد مطلوب اتجاهات النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 161.

[4] – عبد المنعم خفاجي، مرجع سابق، ص 93.

استوقف من يبكي لذكر الحبيب وذكراه لا يقتضي بكاء الخلي، ومن الفساد أن يكون بكاء هذا الصاحب بكاء عاشق لأنّه ينبئ عن عدم الغيرة على الصاحبة." [1]

ثمّ إنّ في البيتين كما أشار **الباقلّاني** "ما لا يفيد من ذكر هذه المواضع وتسمية تلك الأماكن من (الدخول، وحومل، وسقط اللّوى) فهذا من التطويل، وهذا عيّ إن لم يفد.

أما قوله (لم يعف رسمها) وهذا من مساوئه لأنّه إن كان صادق الودّ فلا يزيده عفاء الرسوم إلا جدّة عهد و شدّة وجد." [2]

وعلى نفس الأسلوب نقد **الباقلّاني** تتمة أبيات معلقة **امرئ القيس** مستعرضًا عديد القضايا اللّفظية والمعنوية والبلاغية والنحوية.

[1] – أحمد مطلوب اتجاهات النقد الأدبي، مرجع سابق ، ص 161 (بتصرف).

[2]– المرجع نفسه، ص 161.

1-3. نقده لقصيدة البحتري:

لقد اختار **الباقلّاني** قصيدة **البحتري** المشهورة وطبّق عليها منهجه فقال عن البيتين:

أهلاً بذلِكُـــم الخيـــال المُقْبِـــلِ ** فَعَل الّذي نَهْواه أولم يفعـــــل**

برقٌ سَرَى في بَطْنِ وَجْرَةَ فاهتدت ** بسَنَاهُ أَعْنَاقُ الرّكَـابِ الضُّلَّـــلِ.**

إنّ في البيت الأوّل قوله (ذلكم الخيال) يحمل ثقل روح و تطويل حشو،وغيره أصح له وأخف." [1]

ثمّ في قوله: "(فعلى الذي نهواه أو لم يفعل) ينقده **الباقلّاني** من حيث أنّ الكلمة ليست شريفة ولا لفظة ظريفة، وإن كانت كسائر الكلام، وأمّا البيت الثاني فهو عظيم الموقع في البهجة وبديع المأخذ حسن الرواء أنيق المنظر والمسمع، وعليه فقد اتّبع **الباقلّاني** الأسلوب ذاته في نقد أبيات القصيدة، مع التّحدث عما فيها من حشو وإخلال بالمعنى النّظم، وتعقيد في المعنى، بالإضافة إلى ما فيها من الجودة." [2]

[1] – محمد أبو موسى، مرجع سابق، ص 311 – 312 .

[2] – أحمد مطلوب ، إتجاهات النقد الأدبي، مرجع سابق ، ص 165.

1- 4.تحليله للسّورة من القرآن الكريم:

لقد طبّق **الباقلّاني** منهجه على كتاب **الله** تعالى فنراه يوضّح ما فيه من روعة النّظم وجودة التأليف مما لا يقدر عليه بشر، مع أنّ روعة القرآن جلية لا تحتاج توضيحًا البتّة، وفي هذا نجده يقول:" فأما نهج القرآن ونظمه وتأليفه ورصفه فإنّ العقول تتيه في جهته، وتحار في بحره وتظل دون وصفه." [1]

وقد دعى **الباقلّاني** إلى دراسة سور القرآن كاملة، لتّتضح الصورة و تكتمل و بهذا تبيان للإعجاز حيث يقول:" فإذا كانت الآية تنتظم في البديع وتتألّف من البلاغات فكيف لا تفوت حد المعهود...وكيف لا تحوز قصب السّبق ولا تتعالى عن كلام الخلق؟. " [2]

كما نجده يدعو إلى "تأمّل السّورة من القرآن تامة كاملة ومعرفة قصصها ومراعاة ما فيها من براهين وفي هذا نراه قد قام بتحليل سورتي النّمل وغافر كاملتين، في تأمل في الوحدة الفنّية والموضوعية فيهما فتناول سورة النّمل من ناحية النّظم، وصلته بالفاصلة، وكذا كشف مواطن الجمال في السّورة وشرحها." [3]

وبعد تنقله بين آيات سورة النّمل والنّظر إليها كلمة كلمة وآية آية نجده يبيّن أنّ القرآن هو من عنده فقال:" **وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ** ۝٦ " (النمل : 06)."[4]

ليصل بذلك إلى قصّة موسى υ الذي رأى نارًا فقال لأهله من خلال الآية:"**إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ** ۝٧"

(النمل : 07).

---

[1] – الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 182.

[2] – أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 167.

[3] – عكاب الحياني، مرجع سابق، ص 212.

[4] – أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي، المرجع نفسه، ص 167.

وقال في سورة طه في نفس القصة:" **إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى** ﴿١٠﴾ "(طه : 10).

ثمّ قال:" **فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ** ﴿٨﴾ " (النمل : 08).

"فانظر إلى ما أجرى له الكلام الأوّل، وكيف اتّصل بتلك المقدمة، وكيف وصل بها ما بعدها من الإخبار عن الربوبية وما دل به عليها من قلب العصا حيّة، وجعلها دليلا يدله عليه، ومعجزة تهديد إليه." [1]

ومن خلالها ينبه **الباقلّاني** إلى النّظر في الكلمات المفردة القائمة بأنفسها في الحسن، وفي ما تتضمّنه من المعاني الشريفة، ثمّ ما قرن به هذه الدلالة من اليد البيضاء عن نور البرهان من غير سوء ثمّ نراه يدعو القارئ للسّورة أن يرى في آية آية وكلمة كلمة فيها، هل يجدها كما وصفت من عجيب النّظم وبديع الوصف؟." [2]

وبعد ذلك نراه يقول كجواب للسّؤال:" فكلّ كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية، وفي الدلالة آية، فكيف إذا قارنتها أخواتها وضامتها ذواتها، تجري في الحسن مجراها، وتأخذ معناها؟.

ثمّ من قصة إلى قصة، ومن باب إلى باب من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، وحتى يصوّر لك الفصل وصلا، ببديع التّأليف وبليغ التنزيل." [3]

"وعلى نفس المنهج نرى **الباقلّاني** يمضي في تحليل سورة (غافر) حيث أنّ هذا النوع من الدراسة لم نألفه عند نقاد تلك الفترة، وهو منهج يولي السّورة التّامة عناية كبيرة، وينظر إليها نظرة متكاملة."[4]

---

[1] – الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 189 – 190.

[2] – المرجع نفسه، ص 190.

[3] – المرجع نفسه، ص 190.

[4] – أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 169.

والملاحظ من هذا التحليل أنّ **الباقلّاني** قد اهتمّ بنظم القرآن وأعطاه السبق على غيره من نظوم الكلام، فحاول تبيانه من خلال دراسته لما في القرآن من بلاغة وجمال.

وللإشارة فإنّ "تحليله للنّص القرآني كان مخالفا لنمط تحليله للشّعر لأنّه كان يصدر على هذا الأخير أحكامًا نقدية بخلاف نظره للقرآن فهو لا يصدر أحكامًا حوله – ولا يجوز له ذلك – لأنّه هنا بإزاء كلام **الله** تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين أيديه ولا من خلفه." [1]

فالنّاظر للقرآن ليس ناقدًا بل كاشفًا لروعة أسلوب الذّكر الحكيم المعجز في بلاغة نظمه وتأليفه وناظرًا لمواطن الجمال فيه.

[1] – عكاب الحياني، مرجع سابق، ص 213 (بتصرف).

1- 5.الموازنة عند الباقلّاني:

إنّ الموازنة عنده هي سبيل معرفة جودة الكلام وروعته، وقد اتخذها سبيلا إلى تقريب إعجاز القرآن وفي ذلك يقول رحمه **الله** تعالى:" فإذا أردنا أن نفتح له بابًا ليعرف به إعجاز القرآن ونعرض عليه الأساليب، ونصوّر له كل قبيل من النّظم والنثر...ويقع له الفرق بين الكلام الصادر عن الربوبية....الجامع بين الحكم والإخبار عن الغيوب،...والمستوعب بجلية اليقين...ونعمد إلى شيء من الشّعر فنبيّن وجه النقص فيه وندل على انحطاط رتبته حتى إذا تأمل ذلك وتأمّل ما نذكره من تفصيل وإعجاز القرآن وفصاحته ...انكشف وثبت له ما وصفناه لديه."[1]

ويفهم من قوله أن الموازنة بين القرآن وكلام البشر شعره ونثره وبيان النقص والخلل في الكلام البشري يوضّح ويثبت إعجاز القرآن وبيان أسلوبه وعلوّ رتبته في البلاغة والفصاحة.

ثم إنّ **الباقلّاني** "كان من أشهر من اتهِمَ بالتعسّف في نقده للشّعر والنثر، وذلك عند موازنته بين القرآن وشعر **امريء القيس** و**البحتري** وكذا خطب النّبيρ وبعض الصحابة الكرام (رضوان **الله** عليهم."[2]

وهو في "موازنته تلك ليس ملامًا لأنه كان بذلك يدافع عن القرآن الكريم ضد الحاقدين على الإسلام غير أنه في موازنته بين القرآن وكلام **المصطفى**ρ كان أبين أسلوبا وأخف وطأ في كلامه عن الحديث النّبوي الشريف."[3]

وعليه فإن "أول ما يشترطه النظر في نظم القرآن ثم في شيء من كلام النّبيρ ، وليعرف الفرق بين النظمين والكلامين."[4]

---

[1] - الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 126.

[2] - عكاب الحياني، مرجع سابق، ص 205 (بتصرف).

[3] – المرجع نفسه ، ص 205.

[4] – أحمد مطلوب اتجاهات النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 170.

إذ نجده "يعرض في كتابه بعض الخطب والرسائل للرسول الكريم ρ ، ولزيادة التوضيح أورد خطبًا للصحابة والبلغاء، وكل هذا يؤدي إلى الاعتراف بروعة نظم القرآن وخرقه للعادة بعد أن يكون الدارس قد وقف عند كلام العرب، وعرف ما فيه من تفاوت لا يجده في كتاب ربِّ العالمين."[1]

هذا عن النثر أما إذا عدنا إلى موازنته بين القرآن والشّعر، فإننا نراه "يوجه للشاعرين **امرئ القيس** و**البحتري** نقدًا لاذعًا في سبيل إثبات ما للقرآن من علو شأن في البلاغة والبيان- مع أن ذلك مثبت لا يحتاج إثباتًا – وكذا لمعرفة كوامن إعجازه، إلا أن الإمام **الباقلّاني** برغم ذلك قد نَصَفَ الشاعر الجاهلي الفحْل **امرأ القيس** بقوله: وأنت لا تشك في جودة شعر **امرئ القيس**، ولا ترتاب في براعته ولا تتوقف في فصاحته."[2]

ضف إلى ذلك فإن **الباقلّاني**" كان مدركًا عدم جواز الموازنة بين القرآن بوصفه نصًا معجزًا والشّعر بوصفه عملا بشريًا، وقد بيّن أنه لا تجوز الموازنة بين القرآن والشّعر."[3]

فأما الموازنة بين شعر و شعر" فهو مما يظهر مزايا الكلام، وخصائصه ويوضح قيمته الفنية."[4]

فقد أورد بعض الأمثلة في موازنته بين شعر **الحسين بن الضحاك** و**أبي نواس** و**ابن الرّومي**.

[1] – أحمد مطلوب اتجاهات النقد الأدبي، مرجع سابق ، ص 170.

[2] - عكاب الحياني، مرجع سابق، ص 206.

[3] - المرجع نفسه ، ص 206.

[4] – أحمد مطلوب، المرجع نفسه، ص 172.

1- 6.مآخذ منهج الباقلّاني في كتاب (إعجاز القرآن):

لقد كتب **الباقلّاني** كتابه هذا وقد كان من أكثر الكتب شهرة في بابه، وقد شهد له بالسبق جل العلماء إلا أنّ البعض منهم قد لاحظ عليه بعض المآخذ نذكر منها ما يلي:

يقول **محمود شاكر** في كتابه مداخل إعجاز القرآن:" رضي **الله** عن **أبي بكر الباقلّاني**، فقد جمع في كتابه خيرًا كثيرًا، واستفتح بسليم فطرته أبوابًا كانت قبله مغلقة، وكشف عن وجوه البلاغة حجابًا مستورًا."[1]

وبعد ذكره لهذه الإيجابيات يقول:" ولكنه زل زلة كان لها بعد ذلك آثارًا متلاحقة فهو بهذه الموازنة التي هاجته كما يقول، قد حملته على هتك الستر عن معلّقة **امرئ القيس**، ليكشف للناس عيبها وخللها، لا ليستخرج منها خصائص بيان القرآن." [2]

ثمّ إذا اتجهنا إلى **مصطفى الرّافعي** نجده يقول عنه ناقدًا:" إن كتاب **الباقلّاني** وإن كان فيه الجيد الكثير، وكان الرجل قد هذّبه وصفّاه، وتصنّع له، إلا أنّه لم يتحاشى وجهًا من التأليف لم يرضه من سواه، وخرج كتابه كما قال هو في كتاب **الجاحظ** (لم يكشف عمَّا يلتبس في أكثر هذا المعنى)."[3]

ويضيف **الرّافعي** إلى ما قاله أن مرجع الإعجاز في كتاب **الباقلّاني**" إلى الكلام، وإلى شيء من المعارضة البيانية بين جنس وجنس من القول، ونوع وآخر من فنونه، ثمّ إنه قد حشر إليه أمثلة من كل قبيل من النّظم والنثر، ذهبت بأكثره وغمرت جملته وعدّها في محاسنه وهي من عيوبه."[4]

وفي موضع آخر نجده يقول أنّ **الباقلّاني** رغم ما كان لديه من " سعة الحيلة في العبارة، وبسط اللسان إلى مدى بعيد، إلا أنه قد جاء كتابه وكأنه في غير ما وضع له، وذلك:

- لما فيه من الإغلاق في الحشد.
- والمبالغة في الاستعانة.

---

[1] - محمود محمد شاكر، مداخل إعجاز القرآن، دار المدني، جدة، ط 2، 2014م – 1435هـ، ص 182.

[2] - المرجع نفسه، ص 182.

[3] - مصطفى صادق الرّافعي، مرجع سابق، ص 152.

[4] - المرجع نفسه، ص 152.

– والاستراحة إلى النقل."[1]

أما إذا انتقلنا إلى **إحسان عباس** نجده هو الآخر قد أعاب على **الباقلّاني** منهجه في الكتاب ذاكرًا أنّ "هذا المنهج الذي اتّبعه كان فيه خطورة على فكرة الإعجاز، مبيّنًا أنّ المنهج الذي سار فيه الإمام، أي تحليله للقصيدة الواحدة وبيان مبلغ التفاوت فيها غير سليم النتائج لأنه كما يقول **إحسان:** يوحي بالموازنة بين شيئين متباعدين رغم أن **الباقلّاني** حاول جاهدًا نفي الموازنة في قوله: (إن الكلام في الشّعر لا يجوز أن يوازن به القرآن.)"[2]

ثمّ إن خطورة المنهج التي تحدّث عنها **إحسان عباس** إنما تأتي"من محاولة بسط حديث إيجابي عن حقيقة الإعجاز، وينتهي **عباس** في هذا الشأن إلى أن **الباقلّاني** لم يأتي بشيء ذي بال وهو يحاول أن يبين خصائص الآيات القرآنية التي درسها."[3]

وفي موضع آخر نجد **عبد الكريم الخطيب** في كتابه (الإعجاز في دراسات السابقين) قد قدم كلامًا عن **الباقلّاني** جاء فيه أنّه رحمه **الله** "حين يرد موارد القرآن، ويستقي من ينابيعه لا تسعفه قدرته أن يحمل شيئًا يعتد به من روائع القرآن وعجائبه، ولا أن يقع على دلائل الإعجاز اللائحة منه في كل نظر يمتد إليه."[4]

ويضيف على ما قاله أن **الباقلّاني** " كان إذا عرض لآية من آيات القرآن تدفّق بيانه بالمديح والثناء على كل حرف وكلمة وعبارة في الآية، دون إشارة منه إلى موطن الفصاحة ولا إلى مكان الروعة والجمال... فيلقى كل آية بما لقي به أخرى، أي أنه كان في عرضه نوع من التكرار والترديد."[5]

وعلى الرغم من كل هذا إلا أن **الباقلّاني** يبقى علما من أعلام الأمّة له الفضل في إبراز الكثير من المسائل والقضايا ضمن كتابه إعجاز القرآن، وذلك نتاج لفكره الواسع وعلمه المستفيض.

---

[1] – ينظر، مصطفى صادق الرّافعي، مرجع سابق ، ص 153.

[2] – إحسان عباس، مرجع سابق، ص 353.

[3] – ينظر، المرجع نفسه، ص 353.

[4] - عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين، دار الفكر العربي، ط 1، 1974م، ص 210.

[5] – المرجع نفسه، ص 210.

2-كتابات الباقلّاني والقضايا النّقدية:

لقد تحدّثت العديد من المصادر عن ذكاء **الباقلّاني**، وسرعة بديهته وعلمه الواسع، كما نجد الكثير من العلماء قد أثنوا على جهوده المضنية في مجال النّقد والبلاغة والإعجاز، فقد وقف حياته للدفاع عن عقيدة السلف والردّ على المخالفين مع نصرة الدّين وخدمة القرآن الكريم.

وعليه فقد أنتجت عقلية **الباقلّاني** وعلمه قائمة كبيرة من المصنّفات، كنّا قد ذكرناها فيما سبق لنا من حديث والجدير بالذكر أنّ معظم المؤلّفات التي أُثِرَت عن الإمام "فقد فُقِدَت ولم يصلنا منها إلا العدد اليسير، ضف إلى ذلك فإنّ ما وجدناه بين أيدينا من إرث **الباقلّاني** قد حُقِّقَ بعضه وبقي البعض الآخر مخطوطًا في دور المكتبات كمكتبة الأزهر في القاهرة والظهرية في دمشق."[1]

ثمّ من أهم الكتب التي وضعها **الباقلّاني** تلك المتعلّقة بقضية الإعجاز القرآني وهي:

كتاب التمهيد، وكتاب الانتصار لنقل القرآن، وكتاب البيان، وكتاب إعجاز القرآن، وسنأتي على ذكر ما حواه كل مؤلّف من قضايا نقدية باعتبار الارتباط الوثيق بين مسألة الإعجاز وتطوّر النّقد وقضاياه.

2-1. كتاب التمهيد:

وضع **الباقلّاني** هذا الكتاب "رداً على الملاحدة والرّافضة والخوارج والمعتزلة، وكان ذلك بناءًا على رغبة الأمير ابن عضد الدولة، بهدف التزوّد بزاد المعرفة في أمور الدّين والدنيا، فجاء" التمهيد" جامعًا مختصرًا لمواضيع شتى في علم الكلام باعتباره مألّفًا من أهم المؤلّفات الكلامية."[2]

وقد طبع هذا الكتاب في سنة (1366هـ) بتحقيق من الأستاذين **محمـود محمّد الخضيري** و**محمّد عبد الهادي أبوريدة**.

[1]- ينظر، سميرة فرحات، مرجع سابق، ص 40.

[2]- المرجع نفسه، ص 83 (بتصرف).

وإذا أردنا أن نعرّف بكتاب (التمهيد) نوجّه أنظارنا إلى ما قاله **الباقلّاني** نفسه حول مؤلّفه هذا مبيّنًا قيمته العلمية ضمن ما جاء في مقدمته:

يقول:" فقد عرفت إيثار سيدنا الأمير... لعمل كتاب جامع مختصر، مشتمل على ما يحتاج إليه في الكشف عن معنى العلم وأقسامه، وطرقه ومراتبه، وضروب المعلومات، وحقائق الموجودات، وذكر الأدلّة على حدث العالم وإثبات مُحْدَثِهِ...وعلى ما يجب كونه عليه من وحدانيته، وكونه حيًا عالمًا قادرًا في أزله...وجواز إرساله رسلا إلى خلقه..."[1]

و يضيق قائلا:"وقطع العذر في إيجاب تصديقهم، بما أبانهم به من الآيات ودل به على صدقهم من المعجزات، وجعل من الكلام على سائر أهل الملل المخالفين لملّة الإسلام من اليهود، والنصارى، والمجوس، وغيرهم، ونَعْقُبُ ذلك بذكر أبواب الخلاف بين أهل الحق، وأهل التجسيم والتشبيه، وأهل القدر والاعتزال، والرافضة، والخوارج، وذكر جمل من مناقب الصحابة وفضائل الأئمة الأربعة ووجوب موالاتهم..."[2]

زيادة على هذا فإنّ من الأمور المهمّة التي تناولها في هذا الكتاب هي: "الكلام في إثبات نبوّة محمّد ρ ، ولعل من الدلائل التي تشير إلى ذلك ما ظهر على يديه عليه السلام من آيات ومعجزات خارقة للعادة، والخارجة من تركيب الطبيعة، حيث يعدّ القرآن الكريم من تلك المعجزات التي تمثّلت في انشقاق القمر، وحنين الجذع، وكلام الذئب وجعل قليل الطعام كثيرًا، وتسبيح الحصى على يديه... وغيرها من الآيات التي هي مقدورات الخالق التي تمتنع على الخلق فلا يأتوا بمثلها."[3]

أما في "استدلاله على معجزة القرآن فنجده يعتمد طريقتين:طريقة الاضطرار، وطريقة النّظر والاستدلال، أما الأولى ففيها أنّ العلم بظهور القرآن على يدي النبّي محمّد ρ هو علم اضطرار، إذ

[1] - الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 37 – 38.

[2] – المرجع نفسه، ص 37 – 38.

[3] – سميرة فرحات، مرجع سابق، ص 113– 114 (بتصرف).

لا يمكن لأحد نكرانه وجَحْدُهُ، كذلك ظهور النّبيυ في مكة والمدينة ودعوته إلى نفسه هو علم ضرورة.

هذا وقد أقرّ كل من يُدِين بغير دين الإسلام من يهود ونصارى ومجوس، وزنادقة وغيرهم بأنّ القرآن الْمَتْلُوَّ في محاريب المسلمين ظهر على محمّد ودعا إلى نفسه."[1]

أما عن المعجزات الأخرى التي ذكرت "فيمكن معرفتها بالثانية أي بالنّظر والاستدلال، لأنّ هذه المعلومات في اعتبار **الباقلّاني** قد تناقلتها الأخبار، ورواها خلف عن سلف ممن شاهدوا النّبي وعاصروه، ثمّ إنّ تعليلهـ هذا لا تدعمه سوى طريقة النقل والتواتر والأخبار، والتي اعتمدها الإمام أساسًا في إثبات حجّته ورأيه، وعليه فإنّ هذه الطريقة مع طريقة العلم بالاضطرار تعتبر من طرق الاستدلال الأصولية، أو الطرق العقلية الخاصة بالمكلف."[2]

هذا عن الوجه الأول الذي استعمله **الباقلّاني** في إظهار إعجاز القرآن، "أما الوجه الثاني والمتمثل في تلك الطرق المادية التي تعتمد على إظهار البناء اللّغوي للقرآن بما فيه من معنى ومبنى: فقد أظهر **الباقلّاني** إعجاز القرآن في نظمه وبراعة تأليفه وكذا فيما انطوى عليه من أخبار الغيوب وعلمها، أما النّظم فقد تحدّى النّبي به العرب على أن يأتوا بمثله في براعته وفصاحته وحسن تأليفه."[3] يقول تعالى:

"قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ "(الإسراء : 88).

فالإعجاز في نظره يكون في "نظم الكلمات وإحكام رصفها، وكونها على وزن ما أتى به **النّبي** الكريم عليه الصلاة وأزكى التسليم. أما عن ما انطوى عليه من الأخبار عن الغيوب، التي يعجز الخلق عن معرفتها والتوصل إليها وإدراكها من غير علم سابق، كما أنّ القرآن زيادة على هذا قد انطوى

[1]- سميرة فرحات، مرجع سابق، ص 114 (بتصرف).
[2]- المرجع نفسه، ص114 (بتصرف).
[3]- المرجع نفسه، ص 115.

على قصص الأوّلين وسير الماضين وأحاديث المتقدّمين وفي هذا تحدّى النبي ρ قومه به على أن يأتوا بمثله، فلم يفعلوا وقد عجزوا عنه."[1]

"ولو كانوا قادرين على معارضته أو معارضة سورة منه لسارعوا إلى ذلك ولكان أهون عليهم من نصب الحرب وتحمّل الأهوال والصبر على القتل واحتمال الذل والعار."[2]

2- 2. **كتاب الانتصار** لصحة نقل القرآن والرد على من نحله الفساد بزيادة أو نقصان:

جاء في مقدمة التحقيق لكتاب الانتصار:" لقد كان **أبو بكر الباقلّاني** من العلماء الذين نلمح في كتاباتهم العمق والأصالة وطول النفس فكان اللّسان الذي يدافع، والقلم الذي يسارع، والعقل الذي يبرهن... يرد الحجة بالحجة، ويقمع البدعة بالسنّة ويحارب الشبهة باليقين، فناظر المبطلين... وحمى حوزة الدّين."[3]

هذا بالإضافة إلى "ما كان عليه من تأليف في علوم القرآن وإعجازه، وبيان ما ينطوي عليه من الأسرار، فأبدع في ذلك وتألّق وبحث وتعمّق، حتى سارت بكتبه الركبان، وكان من الدرّر التي كتب، كتابه الانتصار الذي أودع فيه مكنون صدره وخلاصة فكره، فكان وردًا أمينًا ودِرْعًا متينًا أبطل من خلاله الشبهات، ودافع عن الحرمات، وانتصر للقرآن."[4]

زيادة على ما سبق فإنّ لتأليف (كتاب الانتصار) دواعي وأسباب قد دعت **الباقلّاني** إلى وضع هذا المصنّف منها "ما وجد في عصر الإمام من ظهور فرق كان همّها الطعن في القرآن والتشكيك فيه، وفي صحة نقله وخلوّه من الخطأ واللّحن، فتصدّى لهم **الباقلّاني** مفنّدًا لمزاعمهم داحضا لحججهم، هذا وبالإضافة إلى نقض المؤلّف للطعون التي وجّهت إلى القرآن الكريم نجده يضيف إلى

[1]- سميرة فرحات، مرجع سابق، ص 116 (بتصرف).
[2]- أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 142.
[3] - الباقلّاني، الانتصار للقرآن، مرجع سابق، ص 10-11 (بتصرف).
[4]- المرجع نفسه، ص 10-11 (بتصرف).

ذلك بحوثًا في علوم القرآن، مثل عد الآي، وترتيب السّور، والأحرف السبعة والناسخ والمنسوخ، وغيرها من الأبواب."[1]

هذا وقد تناول **الباقلّاني** العديد من القضايا ضمن مجموعة من الأبواب ليخرج (الانتصار) ضمن جزئين حيث نرى المؤلّف يورد ما تناوله ضمن كتابه في مقدمة الانتصار إذ يقول:"ونبدأ بالكلام في نقل القراءات، وقيام الحجّة به، ووصف توفّر همم الأمّة على نقله وحياطته...ونذكر ما يتعلق به من ادعاء نقصان القرآن، وتغيير نظمه وتحريفه، ثمّ نكشف عن تكذب الروايات الشاذة الباطلة."[2]

ويضيف قائلا:"وقد ذكرنا في كتاب (الانتصار لصحة نقل القرآن) جميع مطاعن الملحدة وكل من خالف عن الملّة على القرآن، وكشفنا عن فساد توهّمهم، وما طعنوا به من كثرة التكرار، وقولهم: إنّ فيه ما ليس من لغة العرب وفيه كلمات ملحونة لا تجوز في الإعراب... واعترضنا أيضًا على قول من زعم أنّ القرآن يجب الإيمان به دون معرفة معناه وتأويله."[3]

ضف إلى ذلك فإنّ **الباقلّاني** قد ضمّن كتابه حديثًا عن قضية الإعجاز وقد امتازت دراسته للقضية في (الانتصار) بأنّها "جاءت ضمن دراسته العامة للقرآن في تاريخه وقراءاته... فيتدرّج في أبواب الكتاب حتى يصل إلى باب أسماه (ذكر مطاعنهم على القرآن)، ويتولّى فيه الرد على الآيات التي طعن عليه فيها من ناحية اللّغة، معتمدًا فيما أورده على إثبات صحة الأسلوب القرآني بمقابلته بأساليب العرب الصحيحة البليغة شعرًا ونثرًا، فتكلّم عن الحذف والتكرار والزيادة والمشكل من لغات القرآن."[4]

وفي حديثه عن الحذف والاختصار نذكر شاهدًا من الشواهد القرآنية التي أوردها في كتابه مع مقابلتها بشاهد من الشّعر العربي حيث يقول:" ومن الحذف والاختصار المعروف في كلامهم حذف "لا" في القسم ومنه قوله تعالى: " **يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ** ﴿١٧٦﴾ " (النّساء: 176)

---

[1]- الباقلّاني، الانتصار للقرآن، مرجع سابق ، ص 33.

[2]- الباقلّاني إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 41 (بتصرف).

[3]- المرجع نفسه، ص 41 - 42.

[4]- الباقلّاني، الانتصار للقرآن، المرجع نفسه، ص 36.

أما في قول الشاعر:

فقلـــتُ يميـن الله أبـرحُ قاعـــداً ** ولو قَطَـعُـوا رأسـي لَدَيكِ وأصـالــي**

و هو يريد: يمين الله لازمة لي أبراح قاعدا، فحذف على وجه الاختصار، وهذا أكثر من أن يتتبّع فمن ادّعى الفساد والتّخليط بمثل هذا فقد جهل و أبعد"[1]

هذا في تحدّثه عن إعجاز القرآن الذي يعدّ بطبيعة الحال من أهم القضايا النّقدية، ثمّ إنّ كتاب الانتصار يعد من أوسع كتب الاحتجاج للقرآن، فهو أساس للدراسات القرآنية جاء على درجة كبيرة من السبك اللّغوي والدّقة البيانية، إذ يمثّل نموذجًا بلاغيًا ناضجًا، أفاد منه من جاء بعد الإمام من العلماء سواء في مجال علوم القرآن أم في الدفاع عنه وردّ الشبهات والمطاعن الكاذبة حوله."[2]

2-3. **كتاب البيان** عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسّحر:

وهو من الكتب المهمّة التي نسبت إلى القاضي **الباقلّاني** الذي وضعه في أواخر حياته "حقّق (البيان) على يد (الأب **مكارتي اليسوعي**)، وقد كان الكتاب غنيًّا ومنسّقًا في محتواه حيث عقد فيه **الباقلّاني** فصولا تكلّم فيها عن جملة من الموضوعات، فكان الكلام في الفصل الأوّل عن حقيقة المعجز ومعناه وفي وجود العادة، ثمّ نجده يتحدث في الفصل الثاني عن خصائص الرّسل وظهور المعجز، أما الثالث فكان لبيان الفرق بين المعجز والحيل والشعوذة هذا وقد عقد الإمام فصلا رابعًا في وجود السّحر والفصل بينه وبين المعجز وبين السّاحر والملاك والشيطان."[3]

أما في سياق حديثه عن هذه القضايا نجده يذكر أنّ "القليل المعتاد الذي لا يدل على علم فاعله وقصده كالكلمة وكتابه الحرف أو الحرفين قصده من ذلك أنّ الجمل القليلة لا تفي بالمعنى، ولا تدل على مدى علم صاحبها، أما الكثير غير المعتاد، فيدل على علم فاعله وقصده، مثل: نظم القرآن."[4]

---

[1]- الباقلّاني، الانتصار للقرآن، مرجع سابق، ص 577 - 578.

[2]- المرجع نفسه، ص 45.

[3]- سميرة فرحات ، مرجع سابق، ص 47.

[4]-المرجع نفسه، ص 48 (بتصرف).

وقد ذكر **الباقلّاني** "ضمن كلامه عن المعجز أنّ أهل اللّغة قد وصفوا آيات الرّسل بالمعجز، لإثباتهم عجز العباد عنها، حيث نجده يخالفهم في هذا التعريف ليقول أنّه يكون في انفراد **الله** عزَّ وجلَّ بالقدرة عليه، إذ لا يصح دخوله تحت قدر الخلق من ملائكة وبشر وجن، وفي هذا يعتبر أنّ وصف اللّغويين للمعجز وصف صحيح من جهة التسمية وخاطئ من ناحية النّظر والحجة."[1]

وفي ذات السياق يرى **الباقلّاني** أنّ "الإعجاز في نظم القرآن وبلاغته أبلغ من إعجاز إبراء الأبرص وقلب العصا ثعبان، حيث أنّ هذه المعجزات متأتية بالاكتساب والنّقل عن الغير، بينما بلاغة القرآن طباعة وليست بأمور مكتسبة موجودة في النّفس، والدليل على هذا أنّ محمّدًا ﷺ كان مبعوثًا من قوم كانوا أفصح العرب وأبلغهم، فلما عجزوا تحدّاهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا."[2]

هذا ولعل من أهم المسائل التي أثيرت في كتاب البيان لإثبات المعجز مسألتان:

1- مسألة القدرة الإلهية القادرة على الخلق والإبداع، تقابلها القدرة الإنسانية المكتسبة من **الله** تعالى.

2- مسألة الإيمان بوجود الأنبياء والرّسل وظهور المعجز على أيديهم وإثباته بعد تحدي النّاس لهم."[3]

ثمّ إنّ النّاظر في كتاب البيان يرى "فكر **الباقلّاني** يمهّد لكتاب آخر ألّف فيما بعد، وهو كتاب إعجاز القرآن، فكأن الكتابين كتاب واحد من جزأين:

- الأول يتناول الكلام في المعجز وظهوره بقدرة **الله** تعالى على الأنبياء والرّسل عليهم السلام مع تمييزه عن السّحر والشعوذة.

---

[1]- سميرة فرحات، مرجع سابق ، ص 48 (بتصرف).

[2]- المرجع نفسه، ص 49.

[3]- المرجع نفسه، ص 56 -57.

– أما الثاني فيفرد فيه الكلام حول الإعجاز في القرآن بخاصة، من حيث ظهوره على النبيّ ρ ومن حيث إخباره بالغيب بأسلوب فاق كل الأساليب فكان دليلا معجزًا على صدق الدعوة المحمدية."[1]

والجدير بالذّكر هنا أنّ هذه الكتب التي ذكرنا "ليست في صميم الإعجاز، فالأول في العقيدة وفيه فصل للإعجاز، والثاني خاص بعلوم القرآن ومنها إعجازه، والثالث كان في الفرق بين المعجزات والكرامات، وكان فيه كلام عن قضية الإعجاز التي لم تتجلى بوضوح إلّا في كتابه المشهور (إعجاز القرآن) الذي يعد الدراسة الناضجة لآراء **الباقلّاني** مجتمعة في نظم القرآن."[2]

2–3. كتـاب إعجـاز القرآن:

يعد (إعجاز القرآن) "أوّل كتب **الباقلّاني** نشرًا، وأشهرها ذكرًا، وهو أعظم كتاب ألّف في موضوع الإعجاز إلى اليوم، فهو من دعائم هذا العلم وأركانه، كيف لا وهو نتاج عَلَمٍ من أعلام الأمّة صاحب الفكر الأصيل، والعلم الرّاسخ، والحجّة المنطقية القوية في إثبات الحق وبيانه."[3]

وعليه فقد "حاز كتاب **الباقلّاني** مرتبة مهمة في تاريخ التأليف في علوم القرآن، متضمّنًا عديد القضايا النّقدية والبلاغية، التي ترتبط بمسألة الإعجاز ارتباطًا وثيقًا، ليشكّل به الإمام متنا حافلا برؤى الإعجاز، والنقد معًا." [4]

هذا وقد كان "للكتاب عدّة طبعات، منها ما هو بين أيدينا من تحقيق السيد **أحمد صقر**، وهي الطبعة الثالثة التي طبعت بدار المعارف في مصر، كما وجدت صورة عديدة لمخطوط الكتاب في أماكن متفرّقة من العالم، إذ له نسخة بمكتبة **الأسكوريال** بإسبانيا تحت رقم (1359) ونسخة أخرى بالمكتبة الظاهرية بدمشق وغيرها."[5]

---

[1]– سميرة فرحات، مرجع سابق، ص 57.

[2]– ينظر، أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 142.

[3]– ينظر، الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 67.

[4]– ينظر، فاضل عبود التميمي، إشكالية البديع وإعجاز القرآن رؤية (الباقلّاني) مثالا مجلة ديالي، جامعة ديالي، العدد 46، كلية التربية، الأصمعي، 2010 م، ص 283.

[5]– فراس الشايب، الآراء الأصولية لأبي بكر محمد بن الطّيب الباقلّاني، في المقدمات الأصولية ودلالات الألفاظ وعوارضها دراسة مقارنة، إشراف، زين العابدين، النور، قسم الفقه وأصوله، جامعة آل البيت، 2000م – 1421هـ، ص 50.

وللإشارة فإنّنا قد ذكرنا بعض كتابات **الباقلّاني**، وما فيها من حديث عن الإعجاز، باعتباره من أهم القضايا النّقدية التي حظيت باهتمام وعناية العلماء، باختلاف الفترات والأزمنة.

وحريّ بنا قبل البدء في ذكر ما احتواه (إعجاز القرآن) من قضايا نقدية أن نورد سردًا لأهم ما حواه هذا المؤلّف بين دفّتيه من تقسيمات شملت جملة من الأبواب والفصول وعليه فإنّ النّاظر لهذا الكتاب يلحظ ابتداءه بمقدمة تمهيدية نوّه فيها إلى بعض الإشارات نذكر منها:

– أنّ **الباقلّاني** قد نبّه إلى أهمية دراسة مسألة الإعجاز في القرآن الكريم فهو "من أهم ما يجب على أهل دين **الله** كشفه، وأولى ما يلزم بحثه لأنّه القوام لأصل دينهم، والعماد لقاعدة توحيدهم وفيه تبيان معجزة النبيّ محمّد ρ بالحجّة والبرهان."[1]

لأن "محاولات التشكيك لا تنشط إلا في غيبة الفهم المؤسّس والمعرفة المستنيرة، ولهذا كان الجهل في حياة المسلمين هو الذي أعاق تقدّمهم الحضاري والمعرفي كما شكّل خطرًا على عقيدتهم التي هي قوام أمرهم."[2]

وقد أشار **الباقلّاني** إلى أنّ:" الذين ألّفوا في معاني القرآن من علماء اللّغة والكلام لم يبسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزته والدلالة على مكانته، مع أنّ الحاجة إلى ذلك البيان أمس والاشتغال به أوجب."[3]

وفي هذا نجد الإمام قد قدّم التأليف في الإعجاز القرآني على غيره من المسائل الأخرى كغريب النحو وبديع الإعراب.

ثم نجده يلفت نظر القارئ إلى التقصير الذي رآه في ما صنّفه العلماء في الإعجاز، وأنّ ما وضعوه حول المسألة لم يكن كاملا في بابه مع نقص الترتيب والتهذيب، والسبب يرجع إلى أنّ بيان وجه

[1]– ينظر، الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 03 – 04 (بتصرف).

[2]– محمد أبو موسى، مرجع سابق، ص 168 (بتصرف).

[3]– الباقلّاني، إعجاز القرآن، المرجع نفسه، ص 67.

الإعجاز كما يقول **الباقلّاني**:" ممّا لا يمكن بيانه إلّا بعد التقدّم في أمور عظيمة المقدار، ودقيقة المسلك لطيفة المأخذ."[1]

فالعلماء في نظر **الباقلّاني** "لم يعطوا مسألة الإعجاز ما كان يجب لها من الصبر عليها والحفاوة بها، ولو أنّ هذه العقليات البارعة انصبّت في القضية لكانت جديرة أن تستخرج منها دقائق ورقائق وأضاءت ما كان ملتبساً فيها."[2]

أما ما جاء بعد المقدّمة من كلام فهو مقسّم إلى ثمانية عشر فصلا وضع ثمانية فصول شملت العديد من الموضوعات، ثمّ أفرد الفصول العشرة الأخرى، والملاحظ أنّ الكتاب يحتوي بابًا واحدًا فقط، وفيما يلي سنستعرض أهم ما حوته تلك الفصول مع التركيز على ما أورده حول مسألة الأعجاز مستخلصين أهم القضايا النّقدية التي وجدت ضمن محتواه.

أما الفصل الأول ففيه يبيّن **الباقلّاني** أنّ نبوّة محمّدρ مبنية على دلالة معجزة القرآن، وفي هذا نجده يستدل بآيات كثيرة، فقال:" الذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن، أنّ نبوّة نبيّنا υ بنيت على هذه المعجزة."[3]

ثمّ نجده قد عقد في الفصل الثاني بيان لكيفية الدلالة على كون القرآن معجزًا وقد بنى قوله على أصلين:

1. "وقوع العلم الضروري بأنّ القرآن المتلوّ المحفوظ والمرسوم في المصاحف هو الذي جاء به النّبي ρ من عند **الله** تعالى."[4]

2."أنّه تحداهم إلى أن يأتوا بمثله وقرعهم على ترك الإتيان به طول تلك السنين فلم يأتوا بذلك وقد استدل في هذا أيضاً على الآيات العديدة من القرآن."[1]

---

[1]- ينظر، الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق ، ص 67.

[2]- محمد أبو موسى، مرجع سابق، ص 172.

[3]- الباقلّاني، إعجاز القرآن، المرجع نفسه، ص 08.

[4]- الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق ، ص 68 .

أما الفصل الثالث فقد تناول فيه الحديث في جملة وجوه إعجاز القرآن وهي ثلاثة كما وجدها لدى الأشاعرة:

– **الوجه الأول**: "هو ما تضمّنه القرآن من الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه.

– **الوجه الثاني**: أنّه أتى بحمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور ومهمّات السير من حين خلق **الله آدم** υ إلى مبعثه، مع أنّه كان أميًّا لا يحسن الكتابة ولا القراءة، ولم يكن يعرف عن كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم شيئًا."[2]

– **الوجه الثالث**:" أنّ القرآن الكريم بديع النّظم، عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه."[3]

وإذا انتقلنا إلى رابع فصل في الكتاب نجده يحوي شرحاً لتلك الأوجه الإعجازية الثلاثة السابقة.

– أما الفصل الخامس فجعله مقصوراً على نفي الشّعر من القرآن الكريم.

– ثمّ نجده يعقد فصلا سادسًا لنفي السّجع من القرآن الكريم.

– وإذا مررنا إلى الفصل السابع نجده قد خصّصه لذكر البديع من الكلام، وفيه حديث مستفيض عن أنواع البديع المختلفة.

– ليتناول في الفصل الثامن كيفية الوقوف على إعجاز القرآن ، ويلي هذه الفصول الثمانية الباب الذي عقده **الباقلّاني** لبيان ما إذا كان الشّعر أفصح من الخطب وأبرع من الرسائل، وتبيان أن نظم القرآن يزيد في فصاحته على كل نظم.

هذا وقد أتبع ذلك الباب بعشر فصول أخرى نذكرها كما يلي:

---

[1] – محمد زنجيير، مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم، سلسلة الدراسات القرآنية (2)، جائزة دبي للقرآن الكريم، ط 1، 2007م، 1428هـ، ص 86.

[2] - الباقلّاني، إعجاز القرآن، المرجع نفسه ، ص 69.

[3] – المرجع نفسه، ص 69.

– فصل في الرّد على من زعم أنّ عجز أهل عصر النبوّة، عن معارضة القرآن والإتيان بمثله، لا يستلزم عجز أهل الأعصر التالية.

– فصل في التحدّي، وبيان أنّه قد يكون ضروريًا في معرفة كون القرآن معجزًا.

– فصل في قدر المعجز من القرآن، وبيان الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة في ذلك، وقد بيّن فيه أنّ الإعجاز يتفاوت ظهورًا وغموضًا بسبب اختلاف حال الكلام.

– فصل في أنّه هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة ؟ أم استدلالا ؟ إذ أنّه استدلالي في حق الأعجمي، ضروري في حق المحيط بمذاهب العربية، وغرائب الصنعة.

– فصل فيما يتعلق به الإعجاز.

– فصل في وصف وجوه من البلاغة مع التمثيل لها، حيث نقل عن بعض أهل الكلام والأدب ومنهم **الرّماني**، أنّ البلاغة على عشرة أقسام، والتي بسطنا لها الحديث فيما سبق من صفحات.

– فصل في بيان حقيقة المعجز، وانفراد **الله** تعالى بالقدرة على المعجز الدّال على صدق النبيّ ε وأنّه خارج عن عادة البشر.

– فصل في كلام النّبي ε مع ذكر أمور تتّصل بالإعجاز.

– فصل في بيان أنّ شرط المعجز أن يعلم أنّه أتى به من ظهر عليه.

أما في الفصل الأخير فقد أفرده لبيان ما تقدّم له من الإبانة عن كون القرآن معجزًا، كاف مقنع مع وجازته، ليختم كتابه بكلمة ختامية تضمّنت وصف القرآن الكريم، وسرد أنواع البلاغة والبديع التي تحقّقت فيه، ثمّ وصف الشّعر والفرق بينهما."[1]

وقد أنهى **الباقلّاني** كتابه بقوله:" فتأمّل ما عرفناك في كتابنا، وفرّغ له قلبك، واجمع عليه لبّك، ثمّ اعتصم **بالله** يهدك، وتوكّل عليه يُعنك، ويُجرك واسترشده يرشدك، وهو حسبي وحسبك، ونعم الوكيل."[1]

[1]– الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص393 .

- **القضايا النقدية في كتاب (إعجاز القرآن) :**

إنّ من أصول كتب النقد التي ألّفت في القرن الرابع الهجري كتاب إعجاز القرآن الذي ألّفه القاضي **الباقلّاني** حيث " استبد بهذا الفرع من التصنيف في الإعجاز، واحتمل المؤونة فيه بجملتها من الكلام والعربية والنقد، حتى عدوه الكتاب وحده لا يشرك العلماء معه كتاب آخر في قوة حجته، وبسط عبارته."[2]

إضافة إلى ذلك فإن القاضي **الباقلّاني** كان "على وعي دقيق بقضايا النقد الأدبي حسبما بلغت في تطورها حتى عصره ثم إنه في كتاب (إعجاز القرآن) قد مس عديد القضايا عابرًا دون توقف، من ذلك مثلا فكرة العلاقة بين التصوير والشّعر وكيف أن الشّعر هو تصوير ما في النفس للغير."[3]

"ومن ذلك أيضًا ما لمحه أن الشاعر المفلق إذا جاء إلى الزّهد قصّر." [4]

والحديث هنا يكون حول أهم المسائل النقدية الكبرى التي استخدمها في كتابه ومنها أن مسألة التفاوت و عنها يقول: "أن عدم التفاوت في نظم القرآن يرتفع به عن مستوى أي شعر أو نثر، لأنّ عجيب نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواعظ، واحتجاج وحكم وأحكام..."[5]

غير أنّ كلام البلغاء يتفاوت سواء كان شعرًا أو نثرًا وفي هذا نجده يقول:"ونجد كلام البليغ الكامل والشاعر المفلق، والخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور:

* فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو.
* ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح.
* ومنهم من يسبق في التقريظ دون التأبين...

---

[1]- المرجع نفسه، ص 305.

[2] – عبد المنعم خفاجي، مرجع سابق، ص 89.

[3] – إحسان عباس، مرجع سابق، ص 354.

[4] – الباقلّاني، إعجاز القرآن، المرجع نفسه، ص 305.

[5] – الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق ، ص 54.

* ومنهم من يغرب في وصف الإبل أو الخيل ..."[1]

"ومتى تأملت شعر الشاعر البليغ رأيت التفاوت في شعره على حسب الأحوال التي يتصرّف فيها، فيأتي بالغاية في البراعة في معنى فإذا جاء إلى غير قصر عنه..."[2]

وقد تكلم **الباقلّاني** عن هذه المسألة كثيرًا إذ رأى" أن كلام الفصحاء يتفاوت في الفصل والوصل والعلوّ والنزول، والتقريب والتّبعيد...ثم إن هذا التفاوت نفسه محك الناقد البارع لأنه يميز طرائق الشعراء ولا تخفى عليه صنعة **أبي نواس** من سبك **مسلم** ولا نسج **ابن الرومي** من نسج **البحتري** وهذا الناقد هو الذي لا يُرد حكمه في النقد، كما هو الشأن في إعجاز القرآن فالبليغ يعرف علوّ شأن القرآن وعجيب نظمه."[3]

"وعليه فإن النّظم هو الطريق التي اختارها **الباقلّاني** لإثبات الإعجاز، ثم إنّ عدم التّفاوت ليس هو المظهر الوحيد الدّال على إعجاز نظم القرآن الكريم، إنما هناك عنصران آخران هما:

1- الطول الذي استوعبه ذلك النّظم دون تفاوت، فالمعروف في الشّعر والنثر أنّ الشاعر لا يجيد إلا في أبيات أو قصائد..."[4]

2- أن هذا النّظم قد ورد على غير المعهود من جميع نظوم الكلام عند العرب."[5]

ثم إنّ الكلام عندهم يقع تحت نماذج قد ذكرها الإمام في مصنّفه وهي:

- "أعاريض الشّعر على اختلاف أنواعه.
- أنواع الكلام الموزون غير مقفّى.
- أصناف الكلام المعدّل المسجع.
- أصناف الكلام المعدّل الموزون غير المسجع.
- أصناف الكلام المرسل."[1]

---

[1] - إحسان عباس، مرجع سابق، ص 347 – 348.

[2] - الباقلّاني، إعجاز القرآن، المرجع نفسه، ص 55.

[3] - إحسان عباس، المرجع نفسه، ص 348.

[4] - إحسان عباس، مرجع سابق، ص 346.

[5] - المرجع نفسه، ص 346.

والمتدبر في نظم القرآن يجده لا يسير على واحد من هذه النماذج، ولذلك نفى **الباقلّاني** أن يكون في القرآن شعر أو سجع، فوضع في كتابه فصلين نفى فيهما الشّعر والسجع من القرآن.

فقال في نفي الشعر عن القرآن أن **الله** تعالى قد نفى الشعر عن كلامه وعن نبيّه **محمّد** ρ فقال تعالى:" **وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ** ﴿٦٩﴾ "(يس: 69).

3- الدراسة البلاغية في كتاب إعجاز القرآن:

لقد أسهب **الباقلّاني** في كتابه إعجاز القرآن في الحديث عن قضية الإعجاز القرآني، إذ "يعدّ كتابه من المصادر البلاغية التي أسهمت في تحديد مسار البلاغة ثمّ إنّ قضايا البلاغة ومباحثها متعددة في كتاب **الباقلّاني** حيث أفرد لتلك القضايا بعض الفصول في متنه، ومن تلك الفصول، فصل تكلّم فيه عن البديع في الكلام، كما أورد في أواخر الكتاب فصلا ذكر فيه (وصفًا لوجوه البلاغة)، متتّبعًا فيه ما أورده **الرّماني** في كتابه (النّكت في إعجاز القرآن) من تقسيم للبلاغة على عشرة وجوه." [2] و التي كانت لنا وقفة إزاءها فيما سبق من كلام.

[1] – الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 52.

[2]– ميسون الحمداني، الباقلّاني وجهوده في علم البلاغة مجلة – دراسات البصرة – السنة الرابعة /ع 14 – 2012م، ص 75.

وقد كانت بعض فصول الكتاب "تجمع بين القضايا البلاغية والقضايا الكلامية، كالفصل الذي تحدّث فيه عن (جملة وجوه إعجاز القرآن) إذ نجده يحصر الإعجاز القرآني في هذا الفصل في مجموعة من الوجوه منها ما هو بلاغي ومنها ما هو كلامي." [1]

حيث "حدّد ثلاثة وجوه أساسية، نقلها عن الأشاعرة، وهي عنده:

1- الإخبار الصادق عن الغيوب.

2- الإخبار عن قصص السابقين، وسير الأمم الخالية.

3- نظمه البَديعْ، وتأليفه العجيب، وبلاغته المتناهية التي يعجز عن محاكاتها البشر." [2]

حيث نجد **الباقلّاني** "يوجّه جل عنايته على الوجه الثالث من وجوه الإعجاز، وهو الوجه البلاغي منها، إذ يحاول بطريقته الفريدة أن يثبت تميّز الأسلوب القرآني، والبلاغة القرآنية على أسلوب البشر وبلاغتهم."[3]

وفي حديثه عن البديع نجده يعقد فصلا في ذكر البديع من الكلام لإثبات الإعجاز البلاغي للقرآن حيث نراه ينفي أن تكون معرفة الإعجاز في القرآن بما فيه من بديع، وفي هذا يتساءل :" هل يمكن أن يعرف إعجاز القرآن من جهة ما تضمّنه من البديع قيل: ذكر أهل الصنعة ومن صنّف في هذا المعنى من صفة البديع ألفاظًا نحن نذكرها ثمّ نبيّن ما سألوا عنه ليكون الكلام واردًا على أمر بيّن وباب مقرر مصور."[4]

وتفصيلا لذلك نجده "يتكلم عن البديع في كتابه (إعجاز القرآن) ضمن العديد من فنون البلاغة، مستشهداً في ذلك بشواهد من القرآن والشّعر.

---

[1]- المرجع نفسه، ص 75.

[2]- فاضل عبود التميمي، مرجع سابق، ص 282 – 283.

[3] - ميسون الحمداني، المرجع نفسه، ص 76 (بتصرف).

[4] - الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 66.

فالبديع عنده يشمل كل المباحث والفنون البلاغية، لتصبح فيما بعد تقسيمات البلاغة الثلاث (بيان، بديع، ومعاني)."[1]

فأما "البديع في الاستعارة من القرآن فمثالها قوله تعالى:" **وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ** ﴿٤٤﴾ (الزخرف : 44)." [2]

ثمّ في الشّعر العربي يذكر قول **امرئ القيس**:

وليل كموج البحر أرخى سدُولَه ** عليَّ بأنــواعِ الهمومِ ليبتَـــلي**

فقلتُ له لـما تمطـىَّ بصُلبِـه ** وأَرْدَفَ أعــجازاً وناءَ بكَلْكَــلِ."[3]**

ثمّ في ذكر "البديع في التّشبيه نجده يمثل له من القرآن بقوله تعالى:"وَلَهُ **ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ** ﴿٢٤﴾ " (الرّحمن: 24)."

أما في الشّعر فيذكر قول **امرئ القيس**:

له أَيْطَلاَ ظبي وساقا نعامـــــــة ** وإرْخاءُ سِرْحانٍ وتقرِيبُ تَتْفُلِ."[4]**

ثمّ إنّ "البديع قد يكون في الكلمات الجامعة الحكيمة كقوله جلّ شأنه:" **وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ** ﴿١٧٩﴾ "(البقرة :179).

[1] - ميسون الحمداني، مرجع سابق، ص 76.

[2] - الباقلاّني، إعجاز القرآن، المرجع نفسه، ص 77.

[3] - المرجع نفسه، ص 74.

[4] – الباقلاّني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 73.

وفي الألفاظ الفصيحة كقوله تعالى:"فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ ﴿٨٠﴾" (يوسف: 80).

وفي الألفاظ الإلهية كقوله جلَّ شأنه:" يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ (غافر : 16)."[1]

وبعد ذلك نجد **الباقلّاني** قد تناول بالذّكر "ألوانًا أخرى من البديع في كتابه كالغلو والإفراط في الصفة والمطابقة، والتجنيس والمقابلة، والموازنة، والمساواة، والإشارة، والمبالغة، والتوشيحْ، التكافؤ، والعكس، والتبديل، والالتفات...وغيرها من الوجوه الكثيرة."[2]

وقد كان "منهجه في تقصّي هذه الموضوعات وبحثها قائمًا على التعريف بالفن مع الاستشهاد بآيات الذّكر الحكيم، وكلام العرب البلغاء، حيث لا يكتفي بذكر الأمثلة بل يصب اهتمامه على التعبير القرآني لمقارنته بأساليب العرب وبذلك جمعت دراسته بين التعريف والتقسيم، والنّقد والتحليل."[3]

وبعد أن سرد **الباقلّاني** أنواع البديع ووجوهه اتّجه إلى القول بأنّ وجوه البديع ليس فيها ما يفسّر الإعجاز في القرآن حيث يقول:" وقد قدر مقدرون أنّه يمكن استفادة إعجاز القرآن من هذه الأبواب التي نقلناها، وأنّ ذلك مما يمكن الاستدلال به عليه، وليس كذلك عندنا، لأنّ هذه الوجوه إذا وقع التنبيه عليها أمكن التوصل إليها بالتدريب والتعوّد والتصنّع لها، وذلك بالشّعر الذي إذا عرف الإنسان طريقه صحّ منه التعمّل له وأمكنه نظمه والوجوه التي نقول إنّ إعجاز القرآن يمكن أن يعلم منها فليس ممّا يقدر البشر على التصنّع له والتوصّل إليه بحال."[4]

---

[1] - المرجع نفسه، ص 66.

[2] - أحمد مطلوب اتجاهات النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 174.

[3] - المرجع نفسه، ص 174.

[4] - إحسان عباس، مرجع سابق، ص 346.

ومعنى ذلك أنّ **الباقلّاني** "لا يرى هذا الفن طريق لإثبات الإعجاز، لأنّه ليس فيه ما يخرق العادة ويخرج عن العرف بل إنّه شيء يمكن أن يحذقه المرء بالتعلّم." [1]

ثمّ إنّ البديع لدى **الباقلّاني** يدخل ضمن البراعة كباب من أبوابها، وفي هذا يقول:" يمكن أن يقال في البديع...إنّ ذلك باب من أبواب البراعة، وجنس من أجناس البلاغة، وإنّه لا ينفكُّ القرآن عن فن من فنون بلاغاتهم، ولا وجه من وجوه فصاحاتهم، وإذا أورد هذا المورد ووضع هذا الموضع كان جديرًا." [2]

وانطلاقًا ممّا سبق، وبعدما عرض **الباقلّاني** جملة الشواهد لتبيان وجوه البديع نجده يتوصّل إلى أنّه "لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذي ادّعَوْه في الشّعر ووصفوه، لأنّه فن ليس فيه ما يخرق العادة."[3]

ضف إلى ذلك فإنّ الإمام في عرضه لتلك النظرات ضمن دراسته البلاغية في كتاب (إعجاز القرآن)، نجده قد عقد في ختام كتابه فصلا لذكر وجوه البلاغة التي ذكرها **الرّماني** وفي هذا يقول: "ذكر بعض أهل الأدب والكلام أنّ البلاغة عشرة أقسام: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتّضمين، والمبالغة، وحسن البيان."[4]

وكان السبب وراء ذكره لهذه الأقسام البلاغية ليس لهدف تبنّيها كوجه من وجوه الإعجاز وإنّما جاء بها للردّ على **الرّماني** الذي اعتبر البلاغة بما فيها من أبواب وجها من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ليؤكّد الإمام رأيه القائل بأنّ الإعجاز لا يثبت من هذه الطريق وفيه يقول:" وإنّما ننكر أن يقول قائل إنّ بعض هذه الوجوه بإنفرادها قد حصل فيه الإعجاز من غير أن يقارنه ما يتّصل به من الكلام ويفضي إليه مثل ما يقول: إنّ ما أقسم به وحْدَهُ بنفسه معجز، وإنّ التشبيه معجز وإنّ التجنيس معجز.... فأما الآية التي فيها ذكر التشبيه فإن ادعى إعجازها لألفاظها، ونظمها وتأليفها

---

[1] – المرجع نفسه، ص 346.

[2] – الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 112.

[3] - المرجع نفسه، ص 111.

[4] - - أحمد مطلوب اتجاهات النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 176.

فإني أدفع ذلك وأصححه، ولكن لا أدعي إعجازها لموضع التشبيه، وصاحب المقالة (يعني **الرّماني**) أضاف ذلك إلى موضع التشبيه وما قرن به الوجوه..."[1]

وقد أضاف أنّ هذه الوجوه يمكن تقسيمها إلى قسمين:

1- "قسم يمكن الوقوع عليه والتعمّل له، ويدرك بالتعلّم، فما كان كذلك فلا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن به.

2- أمّا الثاني فهو ما لا سبيل إليه بالتعمّل من البلاغات، فذلك هو الذي يدل على إعجازه."[2]

وينتهي **الباقلّاني** من ذلك أنّ "مثل هذه الوجوه البلاغية ليست معجزة في حد ذاتها، وإنّما المعجز فيها يكمن في:

1- حسنها البالغ وسموّها.

2- ارتباطها واتّساقها مع بقية الكلام على نحو بالغ الروعة والتكامل."[3]

والملاحظ في كتاب (إعجاز القرآن) أنّه قد "حوى العديد من الآراء البلاغية التي إنّما تدل على ما تميّز به **الباقلّاني** من عمق نظر في نضج فكر، ومن القضايا التي عالجها في كتابه قضية النّظم القرآني الذي هو طريقة تأليف حروفه، وكلماته، وجمله، وسبكها مع أخواتها في قالب محكم."[4] ثمّ إنّ النّاظر إلى هذا الكتاب يلحظ فيه تلك "التفرقة بين النّظم والبديع والتي تعد أحد محاور الكتاب الأساسية، والنافذة التي أطلَّ من خلالها على ميدان البلاغة، كي يسهم فيه إسهامًا كانت له آثاره فيمن تلاه من البلاغيين."[5]

[1] – إحسان عباس، مرجع سابق، ص 347.

[2] – ميسون الحمداني، مرجع سابق، ص 77.

[3] – المرجع نفسه، ص 77.

[4] – مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 142.

[5] – حسن طبل، حول الإعجاز البلاغي للقرآن، قضايا ومباحث، مكتبة الإيمان، المنصورة، ص 88.

وباعتبار النّظم أحد وجوه الإعجاز لدى **الباقلّاني**، فإنّنا نراه "يقف إزاءه وقفة مطوّلة، حيث استغرق في حديثه عنه ما يربو على نصف صفحات الكتاب، لأنّه كان معنيًّا بإبراز تفرّد النّظم القرآني، وتمايزه عن سائر الطرق التعبيرية التي سلكها العرب."[1]

ولإظهار ذلك التمايز في نظم القرآن اعتنى **الباقلّاني** بالتدليل عليه "فقطع في فصلين متتاليين من كتابه، ينفي ظاهرتي الشّعر والسجع من القرآن، ومن هذا المنطلق كانت تفرقته بين النّظم والبديع الذي كان عنده يشمل معظم فنون البلاغة."[2]

ضف إلى ذلك فإن "معرفة وجه الإعجاز في لغة القرآن الكريم في نظره وقف على النّظم دون البديع، وذلك لأنّ تلك اللّغة بالنّظم تفرّدت، وبه ارتقت إلى طبقة غير متفاوتة في البيان يتعذر الارتقاء إليها على طاقات البشر، ومن هذه الزاوية تميز النّظم عن البديع الذي لم تتفرد لغة القرآن بظواهره، لأنّها ظواهر عامة عرفها العرب في الشّعر والنثر."[3]

فالنّظم عنده هو "ما يتّصل به الكلام ويفضي إليه، وهو مناط التّحدي ومردّ الإعجاز."[4]

حيث يورد العديد من الشواهد القرآنية التي يبيّن فيها ذلك النّظم البديع والائتلاف الجميل الحسن فيقول رحمه **الله** تعالى" فأمّا نهج القرآن ونظمه، وتأليفه، ورصفه، فإنّ العقول تتيه في جهته ...

فانظر إلى شريف هذا النّظم وبديع هذا التأليف، وعظيم هذا الرصف، كل كلمة من هذه الآيات تامة وكل لفظ بديع واقعٌ.."[5]

---

[1] – المرجع نفسه، ص 89.

[2] – المرجع نفسه، ص 89 (بتصرف).

[3] – المرجع نفسه، ص 90.

[4] – المرجع نفسه، ص 91.

[5] – ينظر، الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 183 – 187.

المبحث الثالث:

∞ الأسلوب القرآني في خطاب الباقلّاني النّقدي ∞

1- الباقلّاني و رأيه في إعجاز القرآن:

لقد وهب **الباقلّاني** حياته وعلمه للدّفاع عن عقيدة السّلف، والردّ على المخالفين والملحدين، وتعد آراءه في كتاب (إعجاز القرآن) الترجمة لما جال في خاطره، وقد أعطى اهتمامًا بالغًا بالتأليف في الإعجاز، إذ نبّه العلماء إلى ذلك قائلا :" وقد كان يجوز أن يقع ممن عمل الكتب النّافعة في

معاني القرآن، وتكلّم في فوائده من أهل صنعة العربية وغيرهم من أهل صناعة الكلام، أن يبسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزته، والدلالة على مكانته، فهو أحق بكثير مما صنّفوا فيه من القول في الجزء والطفرة... فالحاجة إلى هذا أمس."[1]

وعليه فإنّ الدارس لفكر **الباقلّاني** في هذا المجال لا يمكن أن يغفل الإشارة إلى" تلك الأصول الثابتة في البحث في بيان القرآن، ويمكن حصرها في رأي **الباقلّاني** كما يلي:

إن القرآن عمدة الدّين، فلن يتشكك أحد، ولا يجوز له ذلك مع وجود الأسباب في أنه أتى بهذا القرآن من عند **الله** تعالى، فهذا أصل."[2]

إن الذين شككوا في القرآن لم تكن لهم حجة يعتمدونها في ذلك، ويقول:" إنّه تحداهم إلى أن يأتوا بمثله وقرعهم على ترك الإتيان به طول السنين التي وصفناها، فلم يأتوا بذلك وهذا أصل ثانٍ."[3]

"إنّ القرآن تضمّن الإخبار عن أمور الغيب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه." [4]

وقد بدأ **الباقلّاني** حديثه في إعجاز القرآن بتقرير أنّ القرآن هو معجزة الرسّول ρ وفي ذلك يقول:" الذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن أن نبوّة نبيّنا عليه السّلام بنيت على هذه المعجزة ...فأما دلالة القرآن، فهي عن معجزة عامة، عمت الثقلين، وبقيت بقاء العصرين، ولزوم الحجة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حدٍّ واحد."[5]

" وفي هذا يأخذ **الباقلّاني** في إقامة الدليل على أن القرآن هو معجزة الرسول من منطوق آيات الذّكر الحكيم، ليقول " فأما الذي يبيّن ما ذكرناه من أن **الله** تعالى حين إبتعثه جعل معجزته

[1] – الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 05.
[2] – محمد الحجوي، مرجع سابق، ص 82.
[3] – الباقلّاني، إعجاز القرآن، المرجع نفسه، ص 17.
[4] – محمد الحجوي، مرجع سابق، ص 83.
[5] – عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين، مرجع سابق، ص 194 – 195.

القرآن، وبنى أمر نبوّته عليه، سور كثيرة وآيات، منها قوله تعالى:"الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ " (إبراهيم:1- 2)."[1]

ثم يأتي على ذكر أن القرآن قد تحدىّ العرب أن يأتوا بمثله في مواضع كثيرة من القرآن فتحدّاهم بقوله: "وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٤ " (البقرة: 23 - 24).

وفي عجز العرب عن الإتيان بمثله دليل على أنّ القرآن كلام **الله** تعالى وهو دليل على وحدانيته جلَّ وعلا.وفي ذلك أمران هما التحدّي، وعدم الإتيان بمثله.

وكان هذا لعجزهم عنه، والدليل هو أنّه تحدّاهم به حتى طال التحدي، وجُعل دلالة على صدقه ونبوّته ع."[2]

"ويردّ **الباقلّاني** على القائلين بالصّرفة تلك الفكرة الاعتزالية التي أريد بها صرف الأذهان عن الاشتغال بأسلوب القرآن وإظهاره معجزًا، لاعتقادهم أنّه معجز من غير برهان عيني ما دام العقل هو الدليل وهنا يعود الإمام إلى البرهان بالعقل واستعماله حجة يردّ بها على المعتزلة."[3]

فيقول:" لو كانت هذه الفكرة مقبولة لكان القرآن مسلّم بإعجازه لعجيب وجوده، ولكنا نستغني عن إنزاله عن النّظم البديع الذي نراه، فأهل الجاهلية لم يكونوا قبلهم مصروفين عما كان يعدل به من الفصاحة ..ولما لم يوجد في كلام من قبله مثله علم أن ما ادعاه القائل بالصرفة ظاهر البطلان."[4]

---

[1] – المرجع نفسه، ص 195.

[2] – عبد الكريم الخطيب، مرجع سابق، ص 199 (بتصرف).

[3] – سميرة فرحات، مرجع سابق، ص 64.

[4] – المرجع نفسه، ص 64.

وينتهي **الباقلّاني** إلى "تفسير الصرفة بالمنع، فإذا قلنا بالصرفة، لم يعد كلام القرآن معجزًا، فلم يعد يتضمن فضيلة على غيره، فيصبح المنع هو المعجز وهذا ما أراد بطلانه."[1]

وقد ذكر أنّ "علّة إعجاز القرآن البياني هي التفاوت العظيم في النّظم الموجود في اللّغة العربية دون غيرها، لأنّها محتملة لوجوه من التلوّن في التعبير وفي دلالة الكلمات والترادف وغيرها."[2]

وقد دعى" إلى النظر في نصوص القرآن وغيره من ضروب الكلام العربي لمعرفة الفرق بينهما، ويقول أنّه ليس في وسع من لا يعرف العربية ولا من تعلّمها أن يحكم في هذه المسألة، ولكن يجب أن يعتمد على من يستطيع التفريق بين الأسلوب العادي والأسلوب المعجز."[3]

وفي هذا نجده يورد عديد الشواهد من القرآن وغيره من الكلام البليغ في موازنة منه لتبيان الفرق الشاسع بين بلاغة القرآن وغيرها من البلاغات الأخرى.

[1] – المرجع نفسه، ص 64.

[2] – نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن، من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط 2، 1400هـ- 1980م، ص 75.

[3] – المرجع نفسه، ص 76.

2- وجوه الإعجاز القرآني عند الباقلّاني:

لقد بحث **الباقلّاني** وجوه الإعجاز في كتابه (إعجاز القرآن) مقتفيًا أثر الأشاعرة في نظرتهم للإعجاز، حيث يقول:" ذكر أصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز.

أ- الوجه الأول:

يتضمن الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه، فمن ذلك ما وعد **الله** تعالى نبيّه ﷺ أنّه سيظهر دينه على الأديان، بقوله عزَّ وجلَّ:"**هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ** ﴿٣٣﴾ "(التوبة: 33)، ففعل ذلك. "[1]

ب- الوجه الثاني:

[1] - محمد زنجير، مرجع سابق، ص 87.

وعنه يقول :" أنه كان معلومًا من حال النبيّ ρ أنّه كان أميًّا لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ، وكذلك كان معروفًا أنه لم يكن يعرف شيئًا من كتب المتقدّمين وأقاصيصهم وأنباءهم وسيرهم.

ثم أتى بجملة ما وقع وحدث من عظيمات الأمور ومهمّات السيّر من حين خلق **الله آدم** υ إلى حين مبعثه."[1]

ج – الوجه الثالث:

وهو أهم الوجوه المتعلق بالبلاغة والنّظم وعنه يقول:" أنّه بديع النّظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحدّ الذي يعلم عجز الخلق عنه."[2]

ومن الملاحظ على هذه الوجوه أنّ **الباقلّاني**" قد وسّع مفهوم النّظم في إعجاز القرآن، وردّه إلى جملة أمور عرض لها في كتابه، فمن ذلك أنّ في القرآن وِحْدَة ونظامًا وله اتّساق في جملته، وائتلاف السورة منه ائتلافًا، يبين فيه ترابط أجزاءها، وأنّ إعجازه لا يتوقف، فأما الذي يستأثر به القرآن، ولا يجد نظيره في غيره من الكلام فهو التحام أجزاءه على تباين الموضوعات."[3]

ثم إنّ القرآن لا يتفاوت أسلوبه على كثرة ما يتصرّف فيه من أغراض كما أنّه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم." [4]

[1] – الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 34.

[2] – المرجع نفسه، ص 35.

[3] – عيسى الدريبي، نظرات في الإعجاز القرآني والتحدّي، مجلة ج الملك سعود، م 20 ، 2008م ، ص 86.

[4] – المرجع نفسه، ص 87.

3- المعاني الإعجازية في أسلوب القرآن ونظمه:

لقد تناول **الباقلّاني** الحديث عن أسلوب القرآن وعن نظمه ضمن ما اعتمده من وجوه للإعجاز، فكان النّظم القرآني هو ثالثها، إذ نجده يفصل القول فيه ويطيل الحديث عن معانيه المعجزة كاشفًا عما يحتويه نظم القرآن من آيات الإعجاز، جلّاها لنا الإمام في عشرة معانٍ كخصائص لأسلوب القرآن، وفيها:

-"المعنى الأول:

ما يرجع إلى الجملة، أي إلى جملة القرآن كلّه:

وذلك كما يصف لنا في قوله: أن نظم القرآن على تصرّف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميّز في تصرّفه عن أساليب الكلام المعتاد."[1]

[1] - الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 35.

وتبيان ذلك " أنّ الطرق التي يتقيّد بها الكلام البديع المنظوم منقسمة إلى أعاريض الشّعر على اختلاف أنواعه، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى، ثمّ إلى أصناف الكلام المعدّل المسجع، ثم إلى معدّل موزون غير مسجع، ثم إلى ما يرسل إرسالا فتطلب فيه الإصابة والإفادة."[1]

ثم إنّ "القرآن خارج عن هذه الوجوه ومباين لهذه الطرق، فهو ليس من باب السجع ولا من قبيل الشّعر فبخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم يكون خارجًا عن العادة فهو معجز، وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن وتميّز حاصل في جميعه."[2]

– المعنى الثاني:

"وقد ذكر فيه أنّه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة، والتصرّف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة... والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة، على هذا الطول

وعلى هذا القدر... وقد حصل القرآن على كثرته وطوله متناسبًا في الفصاحة."[3]

"إذ لم يوجد عند العرب أثر أدبي يجاري القرآن في بلاغته، بحيث يحفظ فيه جمال الأسلوب ويكون في طوله بقدر كلام **الله** تعالى."[4]

– المعنى الثالث:

"وهو أنّ عجيب نظم القرآن، وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين، على ما يتصرّف إليه من الوجوه التي يتصرّف فيها: من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج، وحكم وأحكام، وأعذار وإنذار ووعد ووعيد، وتبشير وتخويف، وأوصاف وتعليم أخلاق وشيم رفيعة."[5]

فالمتأمل "شعر الشاعر البليغ يرى فيه ذلك التفاوت على حسب الأحوال التي يتصرّف فيها.

---

[1] – المرجع نفسه، ص 35.

[2] – عبد الكريم خطيب، مرجع سابق، ص 206.

[3] – الباقلّاني، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 36.

[4] – نعيم الحمصي، مرجع سابق، ص 78.

[5] – الباقلّاني، إعجاز القرآن المرجع نفسه، ص 36.

ثم إنّ نظم القرآن إذا تأمله المتأمل يجد فيه جميع ما يتصرف فيه من الوجوه على حدّ واحد، في حسن النّظم، وبديع التأليف والرّصف، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا.

ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا."[1] "ويرى الإعجاز في جميع آياته الطويلة والقصيرة فهو على نهاية البلاغة وغاية البراعة بحيث لا يقدر عليه البشر." [2]

– المعنى الرابع:

أمّا هذا المعنى فهو" أن القرآن على اختلاف فنونه، وما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف والمتباين كالمتناسب، والمتنافر في الأفراد إلى حد الآحاد، وهذا أمر عجيب، تتبين به الفصاحة، وتظهر البلاغة، ومعه يخرج الكلام عن حدّ العادة، ويتجاوز العرف." [3]

وفي هذا السياق نجده ينبّه إلى ظاهرة التفاوت ويقول:" أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتًا بينًا في الفصل والوصل، والعلوّ والنزول، والتقريب والتبعيد، وغيره مما ينقسم إليه الخطاب عند النّظم ويتصرف فيه القول عند الضمّ والجمع، حيث نرى الكثير من الشعراء بوصف بالنقص عند تنقله من معنى إلى معنى، والخروج من باب إلى سواه."[4]

– المعنى الخامس:

وفيه" نظم القرآن وقع موقعا في البلاغة يخرج عن عادة كلام الجن كما يخرج عن عادة كلام الإنس، فهم يعجزون عن الإتيان بمثل القرآن كعجز البشر يقول تعالى:"**قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴿٨٨﴾ " (الإسراء : 88)."[5]

---

[1] – المرجع نفسه، ص 37 – 38.

[2] – المرجع نفسه، ص 38.

[3] – المرجع نفسه، ص 38.

[4] – الباقلّاني، إعجاز القرآن مرجع سابق ، ص 38 (ينظر).

[5] – ينظر، المرجع نفسه ، ص 38.

– المعنى السادس:

وعنه يقول القاضي **الباقلّاني**:"وهو أن الذي ينقسم عليه الخطاب، من البسط والاقتصار والجمع والتفريق، والاستعارة والتصريح، والتجوّر والتحقيق، وغيرها من الوجوه التي توجد في كلامهم، كما أنّها موجودة في القرآن، وكلّ ذلك مما يتجاوز حدود الكلام المعتاد بينهم، في الفصاحة والإبداع والبلاغة."[1]

والمعنى من ذلك أنّ القرآن يشمل كل وجوه وتقسيمات الخطاب عند العرب، إلا أنه فاق ببلاغته ونظمه وأسلوبه المتفرّد كل معتاد من كلامهم متجاوزًا لحدوده في الفصاحة والبيان.

– المعنى السـابع:

وفيه يذكر أن معاني القرآن وألفاظه البديعة جاءت موافقة لبعضها البعض في اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر وبذلك نجده يقول:"إن المعاني التي تضمنها في أصل وضع الشريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الدّين والردّ على الملحدين، على تلك الألفاظ البديعة وموافقة بعضها بعض في اللطف والبراعة مما يمتنع على البشر ذلك حيث علم أن تخير الألفاظ للمعاني المتداولة المألوفة أسهل وأقرب من تخير الألفاظ لمعان مبتكرة، فإذا برع اللّفظ في المعنى البارع كان ألطف وأعجب من وجوده في المعنى المتداول المتكرر." [2]

ويضيف قائلا أنه إذا إنضاف إلى ذلك التصرف البديع في الوجوه التي تتضمن تأييد ما يبتدأ تأسيسه ويراد تحقيقه بأن التفاضل في البراعة والفصاحة، ثم إذا وجدت الألفاظ وفق المعنى والمعاني وفقها، لا يفضل أحدهما على الآخر، فالبراعة أظهر والفصاحة أتم." [3]

---

[1] – المرجع نفسه، ص 42.

[2] – الباقلّاني، إعجاز القرآن مرجع سابق، ص 42.

[3] – ينظر، المرجع نفسه، ص 42.

– المعنى الثامن:

وفيه يقول:" أن الكلام يتبين فضله ورجحان فصاحته بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام، فيرى وجه رونقها باديا غامرا سائرا ما تقرن به كالدرة التي ترى في سلك من خرز و أنت إذا رأيت الكلمة من القرآن فيتمثل بها في تضاعيف كلام كثير وهي غرّة جميعه وواسطة عقده والمنادى على نفسه بالتميز والرونق والجمال والاعتراض في الحسن."[1]

– المعنى التاسع:

وفحواه أنّ "الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة، وهو أربعة عشر حرفاً. يعرف أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم."[2]

ونجد **الباقلّاني** بعد ذلك يعطي تقسيمات هذه الحروف التي بنى العرب عليها وجوه كلامهم وعربتهم .

– المعنى العاشر:

وفيه يذكر أن القرآن جاء في لغته خارجا عن " الوحشي المستكره والغريب المستنكر، وعن الصنعة المتكلفة فجاء قريبًا إلى الإفهام يبادر معناه لفظه إلى القلب، ويسابق المغزى منه عبارته إلى النّفس، وهو مع ذلك متّسع المطلب عسير المتناول فلا يقدر عليه البشر، وعلى العكس في كلام الفصحاء العرب وشعر بلغاءهم الذي لاينفك من تصرف في غريب المستنكر أو وحشي المستكره ومعان مستبعدة." [3]

وعليه فلقد كانت تلك هي الاعتبارات والخصائص التي رآها **الباقلّاني** في أسلوب القرآن ونظمه المعجز وفي استوائه بها على مقام التحدّي والإعجاز.

---

[1] – ينظر، المرجع نفسه، ص 42 – 43.

[2] – الباقلّاني، إعجاز القرآن مرجع سابق ، ص 44.

[3] – المرجع نفسه، ص 47.

الخـاتمة

وفي آخر محطة ننزل عندها في رحلتنا مع هذا الموضوع هي ذكرنا لأهم النتائج التي توصلنا إليها كحوصلة لكل ما تناولناه في محتوى هذه رسالة، ويمكن حصرها في النقاط التالية:

1- الأسلوب القرآني هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه.

2- وجد الأسلوب القرآني مجالا طيّبا في دراسات العلماء المهتمين بإثبات إعجاز القرآن الكريم في سبيل المقارنة بين أسلوب القرآن و غيره من الكلام.

3- اشتمال أسلوب القرآن على خصائص وسمات فنيّة تجعله يسمو في تفرّده على غيره من الكلام الفصيح ليخرج بذلك عن معروف كلام العرب.

4- جمع القرآن بين القصد في الألفاظ مع الوفاء بحق المعاني و كذا جمعه بين إقناع العقل وإمتاع العاطفة ، مع أنه يخاطب الخاصة و العامة معا، فهو قد جمع ما لم يجمع في من الكلام.

5- إنّ أسلوب القرآن هو مادة الإعجاز في نظر العديد من العلماء الذين أقرّوا بأنّ أسلوب القرآن قد أعجز البشر بأن يحاكوا نظمه وتأليفه، وهو طابع لغتهم، وظاهرة حية لأفكارهم وعقولهم.

6- إعجاز الأسلوب القرآني يكمن في وصفه كما أنه معجز في نفسه، فهو ملتقى نهايات الفضيلة على تباعد أطرافها.

7- إنّ البشر فصحاء وعلماء يتعذر عليهم الإتيان بمثل القرآن في أسلوبه البياني أو أخباره الغيبية، أو أي وجه من وجوه إعجازه الأخرى، وذلك لسموّه على طاقاتهم، وقصورهم عنه قصورًا أبديًا.

8- يعد الباقلّاني من أعلام المتكلمين على مذهب الأشعري اهتم بالتدريس والتأليف فكان له عديد المؤلفات وتخرّج على يديه العديد من العلماء.

9- لقد شهد عصر الباقلاني الكثير من القضايا البلاغية التي شغلت اهتمام العلماء آنذاك ومن بينها قضية الإعجاز والنظم والمجاز والبديع.

10- لقد تحرى العلماء و أهل الفكر الكشف عن وجوه الإعجاز في كتاب **اللّه** تعالى التي نراها في تجدّد مستمر عبر العصور فتناولوها بالدراسة إيمانًا منهم أنّ دراسة القرآن والنّظر في أسراره وإبراز وجوه إعجازه لا يكون إلا دفاعًا عن القرآن، وردًّا لسهام الطاعنين في أصل المعجزة.

11- إنّ مفهوم الإعجاز يتأتى من التأثير العميق في النّفس، فقد أعجزهم القرآن بما اتّصف به من البلاغة فائقًا سائر البلاغات متميزًا ومنفردًا بأسلوبه الخاص، مغايرًا لجميع أساليب العرب في الكتابة، والخطابة، والتأليف.

12- ظاهرة الإعجاز البلاغي في جوهرها دراسة نقدية فهي تعتمد على التعمّق في أسرار البلاغة، والموازنة بين ألوان الكلام الرفيع، إلا أنّ النّقد حين يقترب من الإعجاز البلاغي يجب عليه لزامًا التخلي عن حدّه بالتمييز بين الجودة والرداءة، ليبقي على تحليل مواطن الجودة في النص والتأثير في النّفس.

13- لقد كان لقضية الإعجاز كبير الأثر في تطور النّقد والبلاغة، وبما أن علم البلاغة كان ملازما لعلم الإعجاز كان الإعجاز البلاغي من أبرز وجوهه فاهتم العلماء بإبراز الوجوه الإعجازية مع تقصي بلاغة القرآن و تجلياته.

14- اتّخذ الباقلّاني منهجا في النقد اعتمد فيه على الرّجوع إلى فهم الأثر الأدبي جملة، وتحليل خصائصه، ثم الموازنة بينه وبين غيره من الآثار الأدبية الأخرى.

15- لقد تجلت جهود الباقلّاني في النّقد من خلال ما جاء في كتاباته من آراء ونظرات نقدية، فقد نقد قصائد الشّعراء أمثال أمرىء القيس والبحتري، فقد كان واعيا بقضايا النّقد.

16- موازنة الباقلاني بين القرآن وكلام البشر جاءت لإثبات إعجاز القرآن وبيان أسلوبه وعلوّ رتبته في البلاغة والفصاحة من خلال بيان الخلل في الكلام البشري.

17- يعد كتاب إعجاز القرآن للباقلّاني من أشهر المصادر البلاغية التي أسهبت في تحديد مسار البلاغة من خلال ما تضمنه من قضايا بلاغية، فقد تكلم عن البديع وحدد وجوهه، مع أنه قد اتجه إلى إنكار معرفة الإعجاز عن طريق البديع، الذي ادّعوه في الشعر لأنّه فنّ ليس فيه ما يخرق العادة.

18- للإعجاز عند الباقلّاني وجوه ثلاث وهي: ما يتضمنه من إخبار عن الغيوب، وكذا أميّة الرّسول ρ، ثم أن القرآن بديع النّظم عجيب التّأليف متناه في البلاغة.

19- تركيز الباقلّاني على الأسلوب المخصوص للقرآن حيث حصر وجه إعجازه فيه.

1- المصادر :

1- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982م- 1402هـ.

2- أبو الحسن الرمّاني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، للرّماني والخطابي والجرجاني، ت.محمد خلف الله و محمد زغلول، دار المعارف، مصر، ط 3.

3- أبو بشر بن عثمان سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المدني القاهرة، ط 3 1988م.

4- أبو بكر الباقلّاني، إعجاز القرآن، تحقيق. أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 3.

5- أبو بكر الباقلّاني، الانتصار للقرآن، تحقيق محمد القضاة، دار ابن حزم، بيروت، ط1،2001م 1422هـ، م1.

6- أبو سليمان الخطّابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرّماني والخطّابي والجرجاني، تحقيق، محمد خلف الله ومحمد زغلول، دار المعارف، ط 3.

7- أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق.عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج 1 ك2، ط7، 1998م - 1418هـ.

8- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة بيروت، ط4، 1983م - 1404هـ.

9- سّيد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن، دار الشّروق، القاهرة، 1968م.

10- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق. مصطفى شيخ، مؤسسة الرسالة ناشرون بيروت/ دمشق، ط 1، 2013م.

11- محمد الصالح الصديق، الوجيز في علوم القرآن وهدايته وأثره، دار هومه، الجزائر، 2014م.

12- مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية، المكتبة التوقيفية.

13- محمد عبد العظيم الزّرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، ج 2.

14محمّد عبد الله درّاز، النّبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، دار الثّقافة، الدّوحة، 1985م.

2- المراجع:

1- أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر، مصر، مارس 2005م.

2- أحمد مطلوب اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، وكالة المطبوعات الكويت، ط 1- 1973م، بيروت.

3- أحمد مطلوب، البحث البلاغي عند العرب، دار الجاحظ، بغداد، 1982م.

4- جلال الدّين المحلي، شرح الورقات في أصول الفقه، موقع نداء الإيمان. 1شعبان 1438هـ.

5- حسن ضياء الدّين عتر، المعجزة الخالدة، دار البشائر، بيروت، ط3، 1994م.

6- حسن طبل، حول الإعجاز البلاغي للقرآن، قضايا ومباحث، مكتبة الإيمان، المنصورة.

7- حورية عبيب، أساليب الحقيقة والمجاز في القرآن، سورة الكهف نموذجا، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 1428هـ- 2008م.

8- صلاح الدّين عبد التّواب، النقد الأدبي، دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن، دار الكتاب الحديث، 2003م ، ج 2.

9- صلاح عبد الفتّاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، عمان، ط 1، 2000 م.

10- عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، نهضة مصر، مصر، ط3، 2007 م.

11- عبد العزيز عتّيق، في تاريخ البلاغة العربية، دار النّهضة العربية، بيروت.

12- عبد العزيز عرفة، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1405هـ – 1985م.

13- عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين، دار الفكر العربي، ط 1، 1974م.

14- عبد الله عوض الخباص، سيد قطب الأديب الناقد، الشهاب، الجزائر.

15- فضل عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار الفرقان، الأردن، ط 1، 1997م.

16- فهد الرّومي، خصائص القرآن الكريم، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 9.

17- محمّد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 2، 1997م - 1418هـ.

18- محمد إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط 2 ، 1999م - 1419هـ، ج1.

19- محمد الحجوي، في رحاب القرآن الكريم. دراسة في البيان والتراكيب، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 2010م.

20- محمد زنجير، مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم، سلسلة الدراسات القرآنية (2)، جائزة دبي للقرآن الكريم، ط 1، 2007م - 1428هـ.

21- محمد عبد المنعم خفاجي، الفكر النقدي والأدبي في القرن الرّابع الهجري، رابطة الأدب الحديث.

22- محمد كريم الكوّاز، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط 1، 1426هـ.

23- محمود محمد شاكر، مداخل إعجاز القرآن، دار المدني، جدة، ط 2، 2014م - 1435هـ.

24- مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار مسلم، الرياض، ط 2، 1996م.

25- نادية الموسوي، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم عند السيوطي في كتابيه الإتقان ومعترك الأقران، دار الصفاء، عمان، ط 1، 2014م - 1435 هـ.

26- نور الدّين عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح دمشق، ط 1، 1993م.
27- وليد قصاب، في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، دار الفكر، دمشق، ط 2، 2014 م.
28- يحي الجبّوري، الشّعر الجاهلي خصائصه، وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 5، 1986م-1407هـ.

3- المذكرات والرسائل:

1- جيلالي أمينة حورية، الإعجاز البلاغي في آيات الخوف والرجاء سورة التوبة نموذجا، بإشراف قدور المهاجي، 2013م - 2014م.
2- سحر الحسبان، توظيف البحث البلاغي في إعجاز القرآن بين الرّماني والباقلّاني، رسالة ماجستير، بإشراف.علي البواب، جامعة آل البيت، 2005م - 2006م.
3- سميرة فرحات، الباقلّاني حياته وآثاره، رسالة ماجستير، بإشراف . وداد القاضي، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1980م.
4- عبد العظيم المطعني، خصائص التعبير القرآني، دراسة بلاغية، ج 1، مكتبة وهبة.
5- فراس الشّايب، الآراء الأصولية لأبي بكر محمد بن الطّيب الباقلّاني، في المقدمات الأصولية ودلالات الألفاظ وعوارضها دراسة مقارنة، بإشراف، زين العابدين، النور، قسم الفقه وأصوله، جامعة آل البيت، 2000م - 1421هـ.
6- فريد النكلاوي وإسماعيل الأنور، دراسات حول نشأة البحث البلاغي، تطوّره كلية د -إ — ع جامعة الأزهر.
7- نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن، من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط2، 1400هـ- 1980م.

المقالات والمجلات:

1- جمال الدّين شريف، جمال النّظم القرآني، مجلة الدّاعي الشهرية، دار العلوم ديوبند، أبريل – ماي 2012م، ع: 5 – 6، س: 36.

2- عكاب الحياني، السمات الفنية في المنهج النقدي الإعتقادي عند الباقلّاني (دراسة نقدية)، مجلة سر من رأى، كلية التربية، جامعة سامراء، م 8، ع 31، السنة الثامنة تشرين 1، 2013م.

3- عيسى بن ناصر الدريبي، "نظرات في الإعجاز القرآني والتحدي"، مجلة جامعة الملك سعود م 20، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (1)، (مقال أدبي) 2008م – 1429هـ.

4- فاضل عبود التميمي، إشكالية البديع وإعجاز القرآن رؤية (الباقلّاني) مثالا، مجلة ديالي، جامعة ديالي، العدد 46، كلية التربية، الأصمعي، جامعة ديالي، 2010 م.

5- مولاي ميموني، الحقيقة والمجاز (الحلقة الثالثة)، منبر حر للثقافة والفكر والأدب، السبت 26 مارس 2011م.

6- ميسون الحمداني، الباقلّاني وجهوده في علم البلاغة مجلة – دراسات البصرة – السنة الرابعة . ع 14 -2012م.

7- نورة محمد، البلاغة في نظم القرآن، موقع حلو البيان في لفظ القرآن.